المواضيع العربية عند لوركا (١)

د. محمود صبح

لا بد لنا قبل الرجوع في بحثنا هذا من التمهيد له بمقدمة موجزة – قد تبدو مسهبة – لمعرفة العوامل الموضوعية والذاتية التي أدت إلى أن يكون (لوركا) «نتاجاً عربياً– أندلسياً»(٢) على حد تعبير (بابلو نيرودا Pablo Neruda) (٣) في مذكراته التي ترجمناها إلى لغتنا العربية .

أ – العوامل الموضوعية .

١ – لقد كان القرن التاسع عشر ،وبخاصة أواخره ، إرهاصا لتبلور فكرة جديدة عن العرب وحضارتهم ملؤها التقدير والإعجاب والمحبة . وأخذت هذه الفكرة تنمو وتنتشر حتى عمت إسبانيا كلها في النصف الأول من قرننا هذا .

أن نشوء الفكر القومي الاسباني الذي اعتبر حقب التاريخ الاسلامي في الاندلس حلقات متواصلة من تاريخ اسبانيا نفسها قد لعب دوراً كبيراً في بذر الاعتقاد لدى الاسبان المعاصرين بأن هذا التراث الأندلسي هو ملك لهم ، عليهم أن يحرصوا عليه بالبحث والدراسة والعناية أكثر من اهتمامهم بالثقافة الهيلينية والثقافة اللاتينية . ويكفي في هذه العجالة دليلا على ذلك أن نستشهد بأعظم فيلسوف اسباني في القرن العشرين ، ألا وهو (خوسه أورتيغا أي غاسيت

José Ortega y Gasset)(٤) ، فقد كان يرفض أن يدعي الوجود العربي في أسبانيا باحتلال (Conquista) وزواله عنها باسترداد (Reconquista) .

٢ – في القرن التاسع عشر ظهر كبار المستعربين الاسبان الذين عكفوا على دراسة التراث الأندلسي الثوري فاستنبطوه وأخرجوه الى الناس أبحاثاً وتحقيقات ومقالات ومحاضرات وأسسوا مدرسة الاستعراب الاسبانية التي تمتد من (كوديرا Codera)(٥) الى (بني كوديرا Banu Codera) ، وبهذه الكنية يعرف من تبعه من المستعربين الاسبان وكأنهم أسرة متسلسلة متعاقبة ، فمن (كوديرا) الى (ريبيرا Ribera)(٦) ، الى (ميغيل اسين بلاثيوس Miguel Asin Palacios) (٧) ، الى (اميليو غارثيا غوميث Emilio Garcia Gomez)(٨) . وكان الأدباء والمفكرون الاسبان ، وما زالوا ، يقرأون في نهم وتمثل ، مندهشين مغرمين ، كل مانشره هؤلاء المستعربون الأفاضل. واليهم يعود الفضل أولا ، فيما نجده من أصداء طيبة لدى الشعراء الاسبان المعاصرين ، شعراء القرن العشرين ، الذين أخذوا يولعون بالحضارة العربية ، وبخاصة الأندلسية منها ، ويشعرون بأنهم حفدة اولئك الأجداد الأمجاد الذين صنعوا هذه الحضارة الانسانية الخالدة . لقد كان (مانويل ماتشادو Manuel Machado)(٩) زميلا ل (اسين بلاثيوس) في المجمع اللغوي ، و (غارثيا لوركا Garcia Lorca) تعرف على (غارثيا غوميث) حين كان (غوميث) أستاذاً للعربية وآدابها بجامعة غرناطة . فلا عجب من أن يتأثر هؤلاء الشعراء بما يؤلفه أصدقاؤهم المستعربون ، وبهم أنفسهم ، فهذا الشاعر (رفائيل البرتي Rafael Alberti) (١٠) يرسل من روما ، حيث يقيم ، قصيدة الى صديقه (غوميث) تكريما لكتابه قصائد الأندلس (Casidas de Andalucia) ، ينشرها (غوميث) مع هذه القصائد في طبعتها الجديدة(١١) .

٣ – أن ظهور الحركة الرومانطيكية في القرن التاسع عشر دفع الأدباء الأوروبيين كافة إلى أن ينهلوا من ينابيع الشرق الغزيرة الخلابة ، من فكره وفنه . وأخذ الشعراء ، وبخاصة الأسبان منهم ، يتغنون بالفارس العربي النبيل وبحبه العذري العفيف وبمغامراته في سبيل المثل العليا. وقد أثر كتاب حكايا الحمراء الذي ألفه ، في «قصر الحمراء» (la Alhambra) الكاتب الأمريكي ذو الأصل الاسكتلاندي (واشنطن ايربينغ Washington Irving)(١٢) في الأدب الرومانطيكي كله . ومن أبرز الشعراء الرومانطيكيين الأسبان (غوستابو ادولفو بيكر Custavo Adolfo Bécquer)(١٣) .

٤ – في مطلع القرن العشرين نشأ في اسبانيا وامريكا اللاتينية مذهب الحداثة (Modernismo) ، وكان شعراء هذا المذهب يتغنون بالشرق وبروائعه ومفاتنه . وقد أكثر هؤلاء الشعراء من استعمال الألفاظ ذات الأصل العربي فأثروا بذلك فيما تلاهم من شعراء . ويكفي دليلا على ذلك أن آخر كلمة من أصل عربي – يقال بأن العربية أخذتها عن الفارسية – أقرها المجمع اللغوي الاسباني لقاموسه ، قبل بضع سنوات ، هي كلمة بلبل ، لكثرة ما استعملها زعيم مدرسة « المحدثين » (Modernistas) الشاعر « الهسباني » (Hispano)(١٤) (روبين داريو Rubén Dario)(١٥) . وكان الشاعر الرومانطيكي (بيكر) هو أول من بدأ باستعمال كلمة بلبل . ويعتبر (مانويل ماتشادو) من « المحدثين » ، وكان ينزع نزعة عربية في حياته وفي شعره ، فها هو يقول من قصيدة عنوانها (Adelfos) أي أشجار الدفلى مع قلب في الحروف – وقد أكثر الشعراء الاسبان ، بعده ، من استعمال الدفلى(١٦) رمزاً للمرارة والألم واللامبالاة – :

« أنا مثل أولئك القوم الذين وفدوا إلى ارضي
– أني لمن الجنس العربي صديق الشمس التليد –
اولئك القوم الذين غنموا كل شيء وفقدوا كل شيء
وروحي من طيب ذاك العربي – الأندلسي . »

إلى أن يقول :

« الأناقة والعراقة لا تكسبان بل تورثان
بيد أن شعار بيتنا ، رمز الشعار
هو ديمة كسلى تكسف شمساً مزهوة »(١٧)

٥ – لقد جاء بعد « المحدثين » جيل من الأدباء والمفكرين الاسبان – مع أن المدرستين قد تعاصرتا – عرف بـ جيل الثامن والتسعين أو جيل النكبة (la Generacion del Desastre) ، وقد أطلق عليهم هذا النعت إثر حرب كوبا التي نشبت بين اسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية عام ثمانية وتسعين – العام الذي ولد فيه (لوركا) – من القرن الماضي . وانتهت هذه الحرب بخسارة اسبانيا لآخر مستعمراتها في أمريكا اللاتينية . فأحدث ذلك كله هزة في نفوس الاسبان جميعهم وبلبلة في أفكارهم(١٩) . فأخذت اسبانيا تبحث عن هويتها القومية التي تزعزعت نتيجة هذه الصدمة . فبرز اذاك منحيان ، منحى أوروبي يقول بالعودة إلى اوروبا والالتصاق بها وبفكرها مستنداً على عوامل ثقافية

وجغرافية ، وكان تأثير هذا الاتجاه الأوروبي قد ضعف ، سياسياً على الأقل ، أثناء حرب الاستقلال التي شنها الشعب الاسباني – مستخدماً تكتيك حرب العصابات – ضد قوات (نابليون بونابرت) التي احتلتها عام ١٨٠٨ ، ومنحى عربي يستند على عوامل ثقافية وتاريخية ويقول بالرجوع إلى جذور اسبانيا العريقة وبخاصة أبان العهود الاسلامية وبالاقتراب من العالم العربي وافريقيا . ومن العجيب أن يمثل الأخوان (ماتشادو) كلا هذين الاتجاهين ، فبينما اتجه (مانويل) اتجاها عربياً في حياته وفي شعره ، نجد أن أخاه (انطونيو)(١٩) الذي يعتبر أحسن ممثل لجيل الثامن والتسعين من الشعراء ، قد نحا منحى اوروبياً في حياته وفي شعره وفي أفكاره . وهذان الأخوان ، في رأينا ، يمثلان أحسن تمثيل وطنهما الذي تتجاذبه هاتان النزعتان ، وقد تتناسقان فتأتي اسبانيا بالمعجزات ، وقد تصطدمان فيختل توازنها ، وقد يلطم جناحها جناحها الآخر فتسقط ضحية هذا النزاع . ولا يعني كلامنا هذا أنه ليس لذوي كل نزعة من هاتين النزعتين قسط من النزعة الأخرى ، بل أن لكل شقيق من الآخر ما يتشابه به الأشقاء عادة . ولهذا فإننا نعثر ، أحياناً ، في شعر (انطونيو) على اطلالات واشراقات عربية . وهاكم ، دليلا على ذلك . قصيدة له عنوانها وهم ليلة في نيسان(Fantasiade una noche de abril) يخاطب فيها سيدة أحلامه :

« هل أنت ، ياسيدتي ، حبيبة (قزول)(٢٠) العربي ؟
لا بد أنك مجيبة بنعم .
بيد أن حبي سينشدك ، عما قريب ،
لحن ربابتي ، وأعذب لغة عربية(٢١)
سمعتها نافذة عربية »

ثم يقول :

« إني أحتفظ ، ياسيدتي ، في كتاب أغاني القديمة
بموال(٢٢) ذي لغز أبيض
هو من أكثر المواويل نعومة ،
من أكثرها عذوبة ،

من أكثرها نباهة .

موال يستدعي نجوم « عرابياً»(٢٣) الواضحة
وأشذاء جنينة عربية – أندلسية(٢٤)
سكونا ... هاهو ، ليلا ، سلام البدر
ينير النافذة العربية البيضاء »

إلى أن يقول :

« فإذا كنت أنت ، ياسيدتي ، ظل الربيع الأبيض
بين أزهار الياسمين(٢٥) ،
أو كنت وهما قديماً حلم به المغنون
في أبيات غزل عذبة ،
فأني لظل أغان قديمة
ورمز لحبر (٢٦) عريق في الحب .
بئس المزدهون ، أن أقوال العشق لأفضل ،
فالعرب سادة بيض الوجوه ، سمار الليالي ،
فضعي في شفتيك ، يا سيدتي ، مواويل الحياة ،
حكم الأوائل الشاملة .
وأنا كذلك ، ياسيدتي ، ظل العشق والغرام »(٢٧) .

أفرأينا كيف أن (انطونيو) حين ينطق روحه العربية يتآخى في نزعته العربية .

٦ – بين جيل الثامن والتسعين و جيل السابع والعشرين ثمة جسر تمثل في شاعرين قطبين أثرا تأثيراً بالغاً فيما تبعهما من شعراء وبخاصة في (لوركا) ، وهما (خوان رامون خيمينيث Juan Ramon Jiménez (٢٨) وفرناندو بيالون Fernando Villalon (٢٩)) . – سنتكلم فيما بعد عن جيل السابع والعشرين – ويعتبر النقاد الاسبان المعاصرون (خوان رامون خيمينيث) أقرب الشعراء الاسبان إلى الشعراء الأندلسيين العرب ، في اسلوبه الرقيق وفي عشقه للكلمة المعبرة وفي صوره واستعاراته وفي حساسيته تجاه الأشياء الصغيرة الموحية كالوردة والعندليب والينبوع . . وكذلك فقد ترجم (خوان رامون خيمينيث) نفسه أشعار الشاعر الهندي (طاغور) وساعدته

في ذلك زوجته (زنوبيا Zenobia) . وكان (لوركا) معجباً بـ (خوان رامون خيمينيث) يقلده في مستهل صباه ومطلع شبابه . يقول (لوركا) في مقابلة أجراها معه الصحفي (غوستوس Gustos) عام ١٩٣٠ ، متكلماً عن نفسه بلسان الغائب : «للشاعر ثلاثة اخوة (فرانثيسكو Francisco) و(كونثبثيون Concepcion) و(ايزابيل Isabel) (٣٠) ، وهذه الأخيرة كانت صديقة عظيمة لـ (خوان رامون خيمينيث) العظيم الذي أهداه الشاعر قصيدة من أبدع « رومانثياته » (٣١) .

أما الشاعر الآخر (فرناندو) فاننا لانعرف شاعراً اسبانياً أكثر ولعاً منه بالمواضيع العربية وأكثر اعتزازاً باصله العربي . يقول (بيالون) في قصيدته غوطة « شريش » (Campina de Jerez) (٣٢) :

« هاهي الشمس تميل إلى الغروب
أربع مهركستانية اللون
تخب مختالة . . . تضحك الجلاجل . . .
تمضي عربة الحوذي وهي مليئة بأزهار القرنفل
وبنساء سمراوات ذوات أهداب وطفاء
حفيدات اولئك اللواتي أحضرهن (طارق) إلى اسبانيا ،
وهنا خلال سبعة قرون مافتئن يلدن .
لن تقوى « قشتالة (٣٣) » على أن تجتث عرقكن (٣٤).

ويشدد (بيالون) على موضوع الأصل والأصالة ، فهو لا يريد أن يموت حتف أنفه ، بل :

« فليدفنوني مع المهاميز
ورباط قبعتي عند لحيتي
فليس إبن أبيه
من أنكر أصله » (٣٥)

وهو يأسى لرحيل قومه عن الأندلس على مضض :

« ياجزر الوادي الكبير
حيث رحل العرب
وما شاءوا الرحيل » (٣٦) .

لقد كان (بيالون) سباقاً إلى الغرف من أزجال الأندلس التي تمتد جذورها إلى (ابن قزمان) . ولسنا ندري من كان الأسبق في نظم قصائد « الرومانثة » الحديثة والاقتباس من الأغاني الشعبية ، أهو أم (لوركا) ؟ . وقد سألنا الكثيرين من الباحثين والنقاد والشعراء الاسبان عن ذلك فتضاربت آراؤهم حول هذا الأمر . بيد أن تأثيره في (لوركا) واضح بين (٣٧) ، فهما يتراوحان بين الاتجاه الشعبي الغنائي وبين السريالية ، وهما يتفقان ويختلفان : يتفقان في أن كليهما شاعر مثقف يغرف من الشعب ، ويختلفان في أن (بيالون) يلجأ إلى الأساطير فيما يحلق (لوركا) في عالم الصور والأخيلة .

يقول (خوسه ماريادي كوسيو José Maria de Cossio) في دراسته التي كتبها عن (بيالون) : « . . . وكذلك سيحيا في ذاكرتنا نحن من عرفناه . . . . وفي انبعاث الأغنية الشعبية الذي تم بأيد أندلسية رفيعة ، يحتل (فرناندو بيالون) موقعاً متميزاً جداً » (٣٨) .

٧ – جيل السابع والعشرين في مهرجان عقد في اشبيلية عام سبعة وعشرين – من هنا هذا الاسم – من هذا القرن ، لاحياء ذكرى شاعر قرطبي من القرن السابع عشر ، هو (لوأيس غونغورا Luis Gongora) (٣٩) . وقد أثر (غونغورا) في هؤلاء الشعراء من حيث نقاوة اللغة والتكثيف الشعري والصور المركبة والفكر المزدحمة (٤٠) . وحضر هذا المهرجان مجموعة من الأدباء والشعراء الاسبان كانت تجمعهم صداقة متينة ويؤلف بينهم اسلوب مشترك ، من أبرزهم (لوركا) ، ومن بينهم (رافائيل البرتي) و (خورخه غيين Jorge Guillén) (٤١) و (داماسو الونسو Dàmaso Alonso) (٤٢) و (خيراردو ديبيغو Gerado Diego) (٤٣) وتحمل نفقات عقد هذا المؤتمر مصارع الثيران المعروف (اغناثيو سانشيث ميخياس IgnacioSànchezMejias) الذي كان على درجة عالية من الثقافة واللطافة ، وحين قضى نحبه عام ١٩٣٥ في حلبة المصارعة – الساعة الخامسة مساء – رثاه الكثيرون من أصدقائه الشعراء ، وأروع مرثية قيلت فيه هي بكائية (لوركا) .

٨ – بدأت في اسبانيا حركة ثقافية لبعث التراث الشعبي والاهتمام بالفولكلور ، على أنواعه العديدة ، وبخاصة الأغاني الشعبية . وشرع الأدباء في الاقتباس من أغاني الشعب وأساطيره وحكاياه وأخذوا يعالجون مواضيع مستمدة من الشعب . وظهر كتاب لوالد الشاعرين (ماتشادو) – كان علامة في الفولكلور – جمع فيه أحسن « المواويل » (Coplas) الأندلسية .

وكذلك أصدر (استيبانيث كالديرون Estebanz Calderon) (٤٤) عام ١٨٤٧ كتابه مناظر اندلسية (Escenas andaluzas) ، وقد أثر هذا الكتاب في أدباء النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي أدباء مطلع هذا القرن وبخاصة في (لوركا) .

٩ – نمت الدراسات اللغوية وبدأ الاهتمام بالبحث عن تاريخ الكلمات وتطور مدلولاتها فسطعت الألفاظ العربية من بينها جميلة أنيقة لدقة معانيها ولجرسها الموسيقي . ولايعرف حتى الآن ، على وجه الدقة ، عدد هذه الألفاظ العربية – ناهيك عن العبارات والأمثال ... – في اللغات « الايبيرية » (Ibéricas) ، إذ مازالت تكتشف كلمات جديدة ، يوماً بعد يوم ، وبخاصة أسماء الأماكن من جبال وأنهار ومدن وقرى ... . ويقدر عدد الكلمات العربية في اللغة القشتالية (Castellano) بحوالي خمسة آلاف كلمة ، ولكن عددها في اللهجة « الأندلسية » (Andaluz) يزيد عن ذلك ، وفي اللغة البلنسية (Valenciano) أكثر بكثير . وقد قل ، مع الزمن ، استعمال بعض هذه الألفاظ ، ولكننا نجد أنها في بلدان أمريكا اللاتينية هي أكثر استعمالا ، نظراً لعدم تطور اللغة القشتالية هناك (٤٥).

١٠ – طغت النزعة الاقليمية في اسبانيا. فمن المعروف أن اسبانيا هي مجموعة من الشعوب والأقاليم ، فمن الشعوب ، الشعب « الكتلاني » (Catalàn) ، وله لغته الخاصة به وهي اللغة « الكتلانية » ، وهي لغة من اللغات اللاتينية . والشعب « البسكي » (Vasco) الذي كان العرب يدعونه بالبشكنس ، وله لغة ليست من أصل لاتيني ، ولايعرف ، بعد ، أصل هذا الشعب ومصدر لغته ، وقد تنصر هذا الشعب في القرن التاسع عشر ، ويسكن شمال اسبانيا وجنوب غرب فرنسا . والشعب « الغاييغو » (Gallego) الذي كان العرب يدعونه بالجليقي نسبة إلى المنطقة التي يسكن فيها ، وهي « جليقيا » (G alicia) ولغته من اللغات اللاتينية . والشعب البلنسي (Valenciano) ولغته من اللغات اللاتينية . وشعب « جزر بلياريس » (Islas Baleares) ، وله لغة قريبة من اللغة « الكتلانية » . وشعب « جزر كناريس » (Islas Canarias) التي كان العرب يدعونها بالجزر السعيدة ، ويزعم شعب هذه الجزيرة أن له لغة خاصة به قد انقرضت ، وهو الآن يحاول إحياءها .

ومن المناطق ، منطقة « قشتالة » (Castilla) ، وقد فرضت لغتها القشتالية (Castellano) على كافة شعوب اسبانيا ومناطقها فأصبحت اللغة الرسمية للدولة منذ عهد الملكة (ايزابيل الكاثولكية Isabel la Catolica) . وتقسم « قشتالة » إلى قسمين ، « قشتالة القديمة » (Castilla la Vieja) و « قشتالة الجديدة »

(Castilla la Nueva) حيث العاصمة مدريد . ومنطقة «ليون» (Leon) ومنطقة (استورياس » (Asturias) ، وكان لها لغتها الخاصة . ومنطقة « نابارا » (Navarra) ويعتبرها (البسك) جزء من قطرهم (El Pais Vasco) ، بينما ، هي في الحقيقة ، منطقة لها خصائصها وتاريخها المستقل . ومنطقة «اراغون» (Aragon) التي كان ملكاً عليها (فرناندو Fernando) فتزوج : (ايسابيل) ووحد مملكته مع مملكتها . منطقة « المنجى »(٤٦)(La Mancha) ، وهي منطقة تقع بين «قشتالة» و منطقة « اندلثيا ». ومنطقة « مرسية » (Murcia) ، وهي قريبة ، جغرافياً وبشرياً ، من منطقة « اندلثيا » . ومنطقة «استريمادورا» (Extremadura) التي تحاذي البرتغال وكانت تمتد فتشمل مناطق من « قشتالة » . وأخيراً منطقة « اندلثيا » (Andalucia) – موطن (لوركا) – وهي تشغل جنوب اسبانيا كله ، وتحتوي على ثماني محافظات ، ولشعبها « الأندلثي » (Andaluz) لهجته الخاصة . وهذا الشعب قريب من العرب في طبعه وعاداته وفي مفاهيمه عن الحياة والموت وفي علاقاته الاجتماعية وفي غير ذلك ... وفي مطلع هذا القرن اتخذت كل منطقة راية لها وبدأت كل واحدة من هذه المناطق تبحث عن مميزاتها وعن تاريخها الخاص .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب – العوامل الذاتية :

(أثناء حديثنا عن العوامل الذاتية نتطرق إلى المواضيع العربية عند (لوركا) .)

١) غرناطيته . – ولد (فيديريكو Federico) يوم الخامس من حزيران (يونيو) عام ١٨٩٨ (٤٧) في قرية «فوينته باكيروس» (Fuente Vaqueros) أي نبع البقارة ، وهي قرية صغيرة تقع في وسط غوطة غرناطة – أو فحصها ، كما كان العرب الأندلسيون يقولون – . ونحن نعلم أن جند دمشق ، أثناء الفتح الاسلامي ، اتخذوا غرناطة منزلا لهم ومحلا ، وأطلقوا عليها اسم دمشق لما بين المدينتين من تشابه في الطبيعة والمناخ . ونحن نعلم كذلك أن مملكة غرناطة العربية التي أسسها بنو نصر ، بنو الأحمر ، كانت آخر معقل عربي ، في الأندلس ، صمد أمام غارات الجيوش النصرانية مايقارب القرنين والنصف قرن ، إلى أن أسلم المدينة أبو عبدالله الصغير ، آخر ملوكها ، إلى ملكي اسبانيا الكاثوليكيين (ايزابيل) و (فرناندو) عام ١٤٩٢ – هو تأريخ اكتشاف أمريكا كذلك – . وما زال الاسبان يذكرون – بالاسبانية – بيت الشعر الذي قالته له أمه حين بكى ألماً وندماً على ضياع ملكه :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعــاً لم تحافظ عليـــه مثـــل الرجـــال

لقد أغرم (لوركا) بمدينته وبمعالمها العربية ، وكان يحن إلى غابر عهدها الزاهر ، ويأسى لزوال مجدها ، ويعتبر أبا عبدالله الصغير (Boabdil) صديقاً له ، كما صرح لأحد الصحفيين (٤٨) .

يروي الناقد الكتلاني (سيبستيان غاسش Sebastian Gasch) –كان صديقاً له – أن (فيديريكو) صحبه إلى نادي المدينة في « برشلونه » (Barcelona) ، وفي حديقة هذا النادي قدمه إلى مجموعة من الأدباء كانوا هناك مجتمعين في منتدى أدبي . فسأل أحد هؤلاء الأدباء ، وكان اقليمياً – أي أنه كان متعصباً لاقليمه ، منطقة « كتلونيا » (Cataluna) – ، (لوركا) قائلا من أين أنت يافتى ؟ فأجاب (لوركا) ، وقد أدرك الاحتقار المبطن في السؤال ، رافعاً ذراعه : « اني لمن مملكة غرناطة » (٤٩) –أي مملكة غرناطة العربية – .

وكان (لوركا) يردد دائماً في اعجاب وأسى أبيات شعر من مأساة « قصر الدر » (Al Alcàzar de las perlas)(٥٠)– أي قصر الحمراء – التي ألفها الشاعر (بياسبيسا Villaespesa) :

« يالينابيع غرناطــة
هل أحسستم في الليل الشذي ذي النجوم
بشيء أكثر ألماً من أنينها الحزين ؟ . » . » (٥١)

– الأنين على ماأضاعته من مجــد – .

وفي عام ١٩١٧ يكتب (لوركا) قصة ذات أصوات عديدة ، عنوانها « « خيال رمزي » (Fantasia simbolica) يختمها قائلا : « كانت غرناطة حلماً من ألحان وألوان » (٥٢) – يعني أيام العرب – .

وكتب مقالا عنوانه غرناطة ، وتحت العنوان جملة قالها أديب غرناطي وهي : (غرناطة جنة مغلقة بالنسبة للكثيرين) (٥٣) يقول فيه : « غرناطة تعشق كل ماهو صغير ضئيل ... إن لغة الشعب تضع الأفعال والأسماء في صيغ التصغير في تهيج النجوى

والهوى . » (٥٤) . – استوحى هذا من فن البناء العربي بقصر الحمراء ومن زخارفه ومن اللهجة الأندلسية التي كانت تميل إلى التصغير ، وما زال هذا الميل ظاهراً في اللهجات المغربية الحالية – (٥٥) .

وكتب قصة أسماها « تاريخ هذا الديك » (Historia de este gallo) ، يبدؤها هكذا : « في عام ١٨٣٥ وصل إلى غرناطة ، قادماً من انجلترا ، حيث مكث زمناً طويلا ، لاكمال دراسته ، الغرناطي السيد (الحمراوي don Alhambro) (٥٦) » .– نحن نعتقد أنه يعني نفسه ، فهو قد عاد من رحلته إلى نيويورك ، في صيف عام ١٩٣٠ ، بعد أن قضى فيها سنة ، وذلك لدراسة اللغة الانجليزية (٥٧) . ولكنه جعل ذلك قبل قرن . – . يقول في هذه القصة : « كان السيد (الحمراوي) يراها – يرى غرناطة – من « كرسي » المورو » (٥٨) ، وكان يشعر بأن المدينة تحتاج إلى الخروج من سباتها الذي كانت غارقة فيه ، وكان يشعر بأنه لا بد من نداء يرن في القلوب وفي الشوارع » (٥٩) – وهو هنا يعني الآذان ، ويدعم رأينا أن مجموعة من الكتاب – في هذه القصة – عزموا على اصدار مجلة وأخذوا يتداولون باحثين عن اسم للمجلة ، فقال لهم (لوركا) : « بالنسبة لي ان العنوان الذي يعجبني هو « آهــة العربي » (El Suspiro del Moro) » (٦٠) . وقد أصدر (لوركا) ، فعلا ، مجلة أسماها « ديك » (Gallo) وكان ينوي أن يسميها « الديك السلطان » (El Gallo Sultàn) .

ومن مقال آخر يتحدث فيه عن الاسبوع المقدس بغرناطة يقول : « ان المسافر الخالي البال ، المليء بالابتسامات وصفير القاطرات يذهب ليشاهد أعياد « لاس فاياس » (las Fallas) (٦١) ببلنسية ، وان السكير يذهب لحضور الأعياد المقدسة باشبيلية ، وان المحروق المتشوق إلى رؤية العراة يذهب إلى مالقة . أما الكئيب المتأمل فإنه يذهب إلى غرناطة للبقاء وحده مع نسيم الحبق (٦٢) ، مع طحلب الظلام ، مع تغريد العندليب الذي تنبع به الروابي العتيقة ، ازاء شعلة أزهار الزعفران (٦٣) والألوان الرمادية العميقة والألوان الوردية كلون ورق النشاف ، هذه الألوان هي جدران قصر الحمراء . يذهب للبقاء وحده في تأمل جومليء بأصوات صعبة ، وسط نسيم هو ، لحدة الجمال فيه ، شبه تفكير ، إلى غرناطة التي هي نقطة عصابية من اسبانيا ، حيث الشعر العلوي السامي ، شعر (يوحنا الصليبي San Juan de lal Cruz)(٦٤)يفعم بأشجار الأرز ، بعيدان القرفة ، بينابيع ، فيغدو بالامكان أن تنتشي الصوفية الاسبانية بهذا النسيم الشرقي ، بهذا الأيل الجريح الذي يهطل من المشرق وهو مكلوم من الحب والعشق » (٦٥) .

ولا يتسع بنا المجال هنا لسرد كل مايقوله عن مدينته غرناطة ، بل نكتفي ببعض ماقاله عن معالمها العربية :

قصر الحمراء

(يذكره عشرين مرة في النثر ، سبع مرات في المسرح)

كان (لوركا) يتردد على قصر الحمراء وهو مرتد الأزياء العربية فيجلس جلسة القرفصاء في (باحة السباع) (٦٦) او في (قاعة الاختين) عند نافذة مطلة على وادي « شنيل (Genil) ، قابعاً في ذاته كما يصفه الصحفي الاسباني (خيل بن أمية Gil Benumeya) الذي أجرى مقابلة معه عام واحد وثلاثين ، إذ يقول فيها : « هاهو (غارثيا لوركا) ذو أوائل الصبح مازال قابعاً في ذاتيته ، وهو رجل في البحر الأبيض المتوسط ، ساهم ، مجاهد . (غارثيا لوركا) الافريقي المدثر في بردته كأنه نبي عربي . (٦٧)

ويقول كذلك : « أن هذا الخليفة (Califa) في لحن أقل ، المدعو (غارثيا لوركا) ذهب إلى نيويورك هادئاً جداً وهو يجرجر غرناطيته الساهمة الحالمة ثم أخرج الخنجر (٦٨) ، وبضربة واحدة قوض ناطحات السحاب في « منهاتان » (Manhattan ونتيجة لهذه الغزوة (٦٩) أحضر نيويورك في جيبه وهو جد مرتاح كن لايعمل شيئاً »٧٠

يقول(لوركا) عن قصر الحمراء « أن تقليد التوريق (Arabesco) في قصر الحمراء ، أن هذا التوريق المعقد ذا الدوائر الصغيرة أثر في فناني أرضنا جميعهم . (٧١) نحن نعرف أن(بيكاسو Picasso) الذي ولد في مالقة في الأندلس كان يستعمل فن التوريق هذا في لوحاته الخالدة — .

وهو يعود للحديث عن التوريق (يذكره ثلاث مرات في النثر ومرة واحدة في المسرح) ، يصف الحمراء قائلا : « الأسوار عالية وصفراء ، متقاطعة بشقوق هائلة تخرج منها السحليات التي تتنزه مشكلة بأجسادها توريقات معمهة » (٧٢) . وفي مسرحية « الرقية المؤذية للفراشة » (El Maleficio de la Mariposa) يصف مشهداً بقوله : « هناك درب صغير غير مرئي ، تقريباً ، يطرز فوق العشب توريقاً ساذجاً » (٧٣) .

— رجع الحديث عن الحمراء — :

« الأبراج العتيقة في الحمراء وهي شهب ذات ضوء أحمر . . . » (٧٤)
« أبراج الحمراء ترينا ، وهي مشذبة ، فوق السماء حلماً شرقياً » (٧٥) .
« راحت الظلال تغطي الشعلة الحمراوية » (٧٦) .
« هاهي الحمراء والحدائق – جنات العريف – في منتهى أوجها الشعري » (٧٧) .

« لقد كان قصر الحمراء الصغير ، القصر الذي رآه الخيال الأندلسي وهو يتطلع بمنظار معكوس ، دوما ، محور المدينة الجمالي » . (٧٨)
وفي مسرحية « السيدة (روسيتا) العانس » (Dona Rosita la soltera) تقول (روسيتا) ، شعرا :

« الحمراء هي ياسمين الأسى حيث يستريح القمر » . (٧٩)

جنات العريف (El-Generalife)

(يذكرها خمس مرات في النثر)

يكتب لوركا رسالة إلى صديقه (كارلوس مورلا لينش Carlos Marla Lynch) في صيف عام ١٩٣١ ، من غرناطة ، يقول فيها : « تجتاحني أحياناً نوبات شديدة من الود أشفيها بشرب نبيذ من غرناطة في الحديقة العربية (Jardin Morisco) – جنات العريف – الرائعة فأذكركم بين أشذاء الرياحين » . (٨٠)

ويقول في مقال عنوانه الحديقة « . . . .هندسة جنات العريف الفنية الجمالية » . (٨١)

حي البيازين (Albaicin)

(يذكره خمساً وعشرين مرة في النثر ، مرتين في المسرح) :

حي البيازين يزدحم فوق الربوة رافعاً أبراجه المليئة بالرونق المدجن (Mudéjar) (٨٢)
« حي البيازين يتجاذب فوق الزرقة الوحيدة بالسماء مرتعشاً فيها لطافة ريفية فاتنة (٨٣)
« لحي البيازين ألحان عاطفية غامضة ، وهو ملتف ببهرجة أصيلة من نور غامق . . » (٨٤)

« للأفواج المحتشدة من السواح مثيري الضوضاء وأصدقاء الحانات والفنادق الفخمة ، هذه المجموعات التافهة من الذين يسمونهم أناس البيازين ، الأعمام السواح ، لهؤلاء جميعاً ليست بمفتوحة روح المدينة » (٨٥) .

« تنبعث على صفحة حي البيازين البالية العكرة ذكريات مدن ضائعة » (٨٦) .

« من تعكيبات قصر الحمراء يرى حي البيازين بباحاته . . . . »(٨٧)

« انه لشيء غريب طلسم رؤية حي البيازن من على هذا الحصن والقصر – يقصد قصر الحمراء – في منتصف الليل » .(٨٨)

« حي البيازن ذو روعة رومانطيكية متميزة . . . . هو حي الباحات العربية . . . . . حي القاعات الكبيرة الرطبة الفواحة برائحة الخزامى (٨٩) ، حي الطرحات الكاشميرية(٩٠) حي القرنفل . . . . . . » (٩١) .

« يتزحلق أسى أليم ليس يبرأ فوق حي البيازين وعلى الانحدارات الهائلة ، الانحدارات الحمراء والخضراء المنبثقة من قصر الحمراء وجنات العريف . . . .ويروح اللون يتغير دون هوادة ، ومع اللون يتغير اللحن . . . . .ثمة ألحان وردية اللون ، ألحان حمراء وألحان صفراء وألحان مستحيلة اللحن واللون . . . . ومن بعد ثمة نغمة كبيرة زرقاء ، ثم تشرع سمفونية النواقيس الليلية ، انها لمختلفة جدا عن سمفونية الفجر . يغمر الانسان الولع حزن كبير ، تدوي النواقيس كلها ، تقريباً ، متعبة وهي تدعو إلى التسبيح . . . . يغني النهر غناء قويا وتضع الأضواء المرتجفة على الدروب البيازينية رعشات متلونة بطيف سواد أشجار السرو . . . يقذف الشارع أغنيته التاريخية . . . ثم تلمع في الأبراج أنوار خائفة خافتة صغيرة تنير النواقيس . يصفر القطار من بعيد . . . . . » (٩٢).

باب الرملة (Bibarrambla)

(يذكره مرتين في المسرح) – هو حي في غرناطة – :

في مسرحية(ماريا بينيدا » (Mariana Pineda) يصف المشهد الأول قائلا : (لوحة تمثيل القوس العربي المندثر . منظر ساحة «باب الرملة في غرناطة ، مؤطر ذو هامش مائل إلى الإصفرار ، صورة قديمة مضاءة بأزرق وأخضر وأصفر ووردي وأزرق سماوي فوق عمق من جدران سوداء » (٩٣) .

وهو يذكر شارع « سقاطين » (Zacatin) (٩٤) بغرناطة (مرتين في المسرح) .

وكان أحياناً، يذهب لينظم الشعر ، إلى ضيعة (٩٥) قريبة من غرناطة ، حيث كان والده يملك هناك مزرعة، اسم هذه الضيعة هو : «مرجة الصخيرة»(Vega de Zujaira) الصخيرة من أصل عربي – وهو يذكر اسم الضيعة في تأريخه أول ديوان نظمه ، « كتاب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قصائد » (Libro de poemas) وتواريخ هذه القصائد ترجع إلى صيف عام ١٩١٨ .

وكان لوالده ، دار ، حيث كان يعيش (لوركا) مع أسرته ، لها بستان يدعى « بستان القديس (بيثينة) (La huerta de San Vicente) فأسماه (لوركا) « تمريت » (Tamarit) ، ثم أطلق على ديوان شعر له اسم « ديوان التمريت » (Divan del Tamarit) – سوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد . –

٢) أندلسيته . – علينا هنا أن نميز بين كلمة الأندلس (Al-Andalus) التي كان العرب يطلقونها على جميع المناطق الإسلامية في « شبه الجزيرة الايبيرية (Peninsula Iberica التي تشمل الآن اسبانيا والبرتغال ، وبين كلمة « أندلثيا » (Andalucia) وهي المنطقة الجنوبية من اسبانيا . وشعب هذه المنطقة قريب جداً من العرب في عاداته وتقاليده وحتى في ملامحه الجسدية . . . .وأبناء هذه المنطقة يفتخرون بأصلهم العربي ويفاخرون غيرهم في المناطق الاسبانية الأخرى بحضارتهم الأندلسية ويستأثرون بها وحدهم وبهذا المعنى نتحدث الآن عن أندلسية (لوركا) أو ، بالأحرى ، أندلثيته .

يقول الشاعر الناقد الاسباني (خوسه لويس كانو José Luis Cano) « لقد كان دم (لوركا) دما أندلسيا ، غرناطيا ، أبوة وأمومة وعمومة وخؤولة » . (٩٦)

يعرف (لوركا) الأندلس قائلا : « أن الأندلس لهي شيء عجيب غريب ، أنها شرق بلا سموم وغرب بلا نشاط » . (٩٧)

وفي موضع آخر ، وكأنه يستوحي من الآية القرآنية الكريمة « زيتونة لاشرقية ولاغربية » ، : « لاريب كذلك في أنه ثمة هنا بيان حنين هو ضد الأوربية وليس شرقياً ، انه الأندلس » . (٩٨)

وفي آخر يقول : « أن الأندلس غريبة وبربرية (Berberisca) (٩٩) علينا أن نلاحظ هنا أن الاسبان عادة ، لايميزون بين عربي و(مورو) (١٠٠) وبربري ومسلم ، علماً بأن البربر عرب ، في أكثريتهم ، نزحوا من اليمن .–

ومن رسالة بعثها (لوركا) إلى صديقه الشاعر (خورخه غيين) : " هأنذا في « سيرا نيفادا Sierra Nevada) (١٠١) ، أهبط كثيراً إلى البحر في الأماسي بالجلالة البحر الأبيض المتوسط بالجنوب ، الجنوب ، الجنوب ، أنها لرائعة كلمة الجنوب (١٠٢)

وأول قصيدة نجدها في أول ديوان له « كتاب قصائد » هي قصيدة « دوارة الرياح » (Veleta) يشتاق فيها إلى الأندلس = الجنوب ، وقد كتبها في تموز (يوليو) عام ١٩٢٠ وهو في ضيعته ، وهاكم القصيدة :

« ياريح الجنوب ،
سمراء لافحة
أنت تبلغين جسدي ،
تجلبين الي
نواة النظرات البراقة ،
بليلا من الأزهار .
تجعلين القمر أحمر ،
وأشجار الحور السبايا تنتحب ،
لكنك تأتين متأخرة كثيرا كثيرا
وقد طويت ليل حكايتي
فوق الرف .
من غير أية ريح .
طاوعني ،
افتل ياقلب ،
افتل ياقلب ،
هواء الشمال ،
يادب الريح الأبيض ،
أنت تبلغ جسدي
مرتجفاً من الأشجار الشمالية .
بمعطفك ، معطف شبح قبطان ،
تضحك مقهقهاً
على (الدانتي) ،
يا مصقلة النجوم ،
لكنك تأتي متأخرا كثيرا كثيرا
وخزانة روحي مطحلبة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد أضعت المفتاح .
من غير أية ريح .
طاوعني ،
افتل ياقلب ،
افتل ياقلب ،
يانسائم ، ياعفاريت ، ياريح ،
يابعوض الوردة
ذات الأوراق الأهرامية ،
ياريح المدارين المخشوشنة ،
يامزامير العاصفة ،
دعوني ،
فلذكراي سلاسل متينة
وأسيرة هي الطيور التي
تلون المساء بالأغاريد .
الأشياء التي تمضي لاتعود أبدا .
العالم كل العالم يعرف ذلك ،
وبين زحمة الرياح البينة
ان الشكوى لعبث ،
أليس حقا ، ياحور ، يامعلم النسيم ،
أن الشكوى عبث ،
من غير أية ريح ، طاوعني ،
افتل ياقلب ،
افتل ياقلب ، . (١٠٣) .

) – عروبته . –. يقول الصحفي الاسباني مينديث دو مينيغث (Méndez Dominguez في مقابلة أجراها مع (لوركا) عام واحد وثلاثين « أن (لوركا) يؤمن بالعروبة (arabia) ، أن (لوركا) لهو أكثر عربياً منه أندلسياً ، أكثر اباً منه ابنا» . (١٠٤)

ويقول (لوركا) : « أن العربي (Morisco) نحمله جميعاً في ذواتنا . (١٠٥)

وفي موضع آخر يقول : « في كل مكان ثمة دواع عربية »(١٠٦) .

وفي آخر : « مازالت في قرطبة وغرناطة ملامح وخطوط من الأرض العربية (Arabia) النائية » (١٠٧)

وفي آخر : « هنا وهناك ترن أصداء الصبار العربي » . (١٠٨)

وفي آخر : « أن النبرة العربية (El acento morisco) ترن على ألسنة الناس جميعاً » . (١٠٩)

وفي آخر : « ان المرء يشعر وهو في وسط « سيرا نيفادا » أنه في قلب افريقيا – يعني شمال إفريقيا أي المغرب العربي – ، ان العيون كلها هنا ،افريقية ، تماما ، ذات شراسة وذات شعر يجعل من البحر الأبيض المتوسط قابلا للصمود»(١١٠) .

٤) تقدميته . – . لقد كان (لوركا) تقدمياً في تفكيره وأدبه وفي حياته . وكان يهتم بقضايا الطبقات والشعوب المضطهدة ويدافع عنها فقد دافع عن « الموريسكيين » والغجر والزنوج وغيرهم . . . . . .

في مقابلة أجراها معه (خيل بن أمية)، بعد أن عاد من نيويورك، يحدثه فيها عن العذاب الذي يلقاه هناك السود والمغتربون السوريون (١١١) . ويمكن اعتبار ديوانه « شاعر في نيويورك (١١٢) (Poeta en Nueva York) ديوان الزنوج اذ يتحدث فيه ، شعرا ، عن آلامهم ويصف مايعانونه من اضطهاد وحرمان . أما الغجر فلقد ارتبط اسمه بهم حتى أنه اعتبر شاعرهم ، مع أنه كان يصر على أنه شاعر الإنسانية .

يقول في مقابلة أجريت معه عام ١٩٣٠ : « ان ديوان (الرومانثيرو الغجري Romancero Gitano) هو كتاب وفق فيه الشاعر بسبب لحن « الرومانثة » ، ولأنه يعالج فيه موضوعاً من موطنه ، مسقط رأسه ، فلايمكن ، اذن ، تصنيف هذا الشاعر ذي التطلع الأوسع الأعم على أنه مغني عرق ، شاعر قبيلة – ليس الا » (١١٣)

لم يكن (لوركا) سياسيا ، ولم يكن ينتمي إلى أي حزب من الأحزاب أو أي مذهب من المذاهب السياسية التي كانت سائدة قبل الحرب الأهلية الاسبانية التي نشبت عام ١٩٣٦، فهو يقول في مقابلة صحفية معه ، :

« أنا أبداً لن أكون سياسياً . أنا ثوري ، وليس هناك من شاعر حقيقي الا وهو ثوري ، ألا تعتقد ذلك؟لكنني لست بسياسي ، أنا أبدا لن أكون سياسياً ، .(١١٤)

هذا في مجال السياسة الصرفة ، أما في الفن فقد كان شاعراً ملتزما يؤمن أن الفن للشعب وللانسانية ولقضايا الطبقات والشعوب المكافحة المناضلة . فهو يقول في مقابلة معه :

« ما من انسان حقيقي يعتقد بهذه التفاهة من الفن النقي ، الفن للفن ذاته ، اذ على الفنان في هذه اللحظات المأساوية التي يعيشها العالم أن يبكي وأن يبتسم مع شعبه ، على الفنان أن يدع جانباً غصن ازهار السوسن ، (١١٥) وأن يغرزنفسه في الطين حتى الخاصرة لكي يساعد الذين يبحثون عن أزهار السوسن . (١١٦)

ويقول ، من كلمة ألقاها أثناء حفلة التكريم التي أقيمت له ببرشلونة في كانون أول (ديسمبر) عام ١٩٣٥ ، بمناسبة عرض مسرحيته ، لأول مرة ،مسرحية ، « السيدة (روسيتا) العانس » :

ماذا سيحل بالأطفال الأغنياء ان لم تضعهم خادماتهم الفقيرات في اتصال مع الحقيقة ومع روح الشعب ، (١١٧) .

٥) شعبيته — . —كان (لوركا) يستمد من الشعب « مواويله » (Coplas) وأغانيه وحكاياه وأساطيره ومواضيع مسرحياته وحتى بعض تعابيره وصوره وأمثاله . ولقد أغرم (لوركا) بالفولكلور ، على أنواعه ، فكان صفوة الازدهار الشعبي ، (١١٨) على حد تعبير « نيرودا » في مذكراته . وكان (لوركا) موسيقياً وعازفاً على القيثارة وعلى البيانو ، وقد بدأ ولعه بالموسيقى الشعبية منذ نعومة أظفاره ، فهو حين بلغ السابعة من عمره ذهب إلى المدينة « المرية » لينتسب هناك إلى مدرسة ابتدائية حيث شرع في أولى مراحل تعلمه ، وعكف على دراسة الموسيقى . ثم انتقل إلى غرناطة ليتابع دراسته وهوايته للموسيقى متتلمذاً على يد ملحن متمرس ، وهذا الأستاذ هو الذي جعله يطلع على علم الفولكلور فيهواه ويتعشقه ، حتى كان له الأثر الكبير فيما نظمه من شعر وفيما كتبه من مسرح ومن مقالة . يقول (لوركا) ، في معرض الحديث عن نفسه ، ولكن بضمير الغائب ، على نهج مافعله الدكتور طه حسين ، بعده في كتابه الأيام ، عن لسان الفتى :

بما أن والديه لم يسمحا له بأن ينتقل إلى باريس لمتابعة دراسته الأولية في الموسيقى ، وبما أن أستاذه في الموسيقى توفي ، ، فقد وجه « غارثيا لوركا » ميله المأساوي ، الإبداعي المثير إلى الشجون ، أي إلى الشعر ، أذاك ألف كتاب « انطباعات ومناظر »

(Impresi ones y Paisajes) (١٩١) ، ومن بعد نظم أشعارا بعضها ضم في ديوانه « كتاب القصائد » وبعضها الآخر فقد ، وهكذا واصل حياته شاعراً . « ١٢٠ »

ونحن نقول بأنه واصل حياته ، عازفا ورساما ، محاضرا وممثلا ، (١٢١) فقد كان ينظم في غرناطة مهرجانات للأغاني الشعبية وللأطفال بالاشتراك مع صديقه الموسيقي الكبير (مانويل دي فايا Manuel de Falla) .

أجرى مع صديقه (فايا) ، في غرناطة حفلة للأطفال ، قال فيها ، – عام ١٩٢٤– :

أيها السادة ، سترون الآن الحكاية الأندلسية القديمة ، « ثم عرض عليهم تمثيلية على طريقة مسرح العرائس – عنوانها « الطفلة التي تسقي الحبق » (La nina que riega la albahaca) .

وفي عام ١٩٢٢ نظم في مدينته بالتعاون مع (فايا) ، مهرجان « الغناء العميق » cante jondo) – يجمع أكثر الباحثين في الفلامنكو على أن « الغناء العميق من أصل عربي – وأصر (لوركا) على أن يجري هذا المهرجان في باحة «جباب الحمراء» (Aljibes de la Alhambra) (١٢٢) ، وحضر هذا المهرجان عازف القيثار الاسباني الشهير (أندريس سيغوبيا Andrés Segovia) .

وقد درس (لوركا) الفلامنكو دراسة عميقة واقتبس منه وألقى عنه عدة محاضرات يبين فيها التشابه بين أغاني الفلامنكو والأغاني العربية وخاصة الأندلسية منها ، وعلى الأخص الغرناطية ، وكان ممن يعتقدون أن الفلامنكو من أصل عربي (١٢٣) .

ولسوف نشرع الآن في حديثنا عن المواضيع العربية عند (لوركا) – علما بأن ماقلناه عن العوامل الذاتية يندرج في هذا الباب – مبتدئين بموضوع الغناء .

ج – المواضيع العربية :

ا) موضوع الغناء . – كان ل (لوركا) اطلاع على الأغاني العربية وما كتب عنها، فهو يقول :

« يلاحظ (استيبانيث كالدرون) في كتابه الرائع « مناظر أندلسية » أن « لاكانيا » (La cana) (١٢٤) هي الجذع الأولى للأغاني التي مازالت تحتفظ بطابعها

العربي والموريسكي. ويلاحظ بحدة نظر أن كلمة « كانيا » لاتختلف إلا قليلا عن كلمة (ganni) التي تعني في العربية غناء » . (١٢٥) وكان (لوركا) الموسيقي العازف يعرف الكثير عن الموسيقى العربية ، فهو يقول :

« في الموسيقى العربية كلها ، سواء أكانت رقصاً أم غناء أم ندبا ، يحيي وصول الطرب (١٢٦) ، في اندفاع شديد ، بنداء الله ، الله ، (A-là, Alà) المؤثر . وهذا النداء قريب من (olé) في مصارعة الثيران، ومن يدري فلعله الشيء نفسه(١٢٧)، وفي أغاني جنوب اسبانيا ، كلها ، يقابل ظهور العفريت = الطرب ، على الفور ، بهتافات « يحيا الله » (Viva Dios) ، أنه لهتاف عميق وانساني ، إنه لهتاف ودود لاتصال مع الله عن طريق الحواس الخمس « (١٢٨)

ويحصر (لوركا) تأثير الغناء العربي في الجنوب الاسباني ، أي في « أندلثيا » ، اذ يقول :

« أن الأغاني الاشبيلية التي وصلت كما هي حتى تونس ، وقد حملها عرب غرناطة ، تعاني تغييراً كلياً في اللحن وفي الطبع حين تصل إلى «المنجى » ولا تستطيع تجاوز « وادي الرمل » (Guadarrama) (١٢٩) .

ويجد (لوركا) شبها كبيراً بين أغاني الفلامنكو وأغاني عرب المغرب التي يرجعها جميعها إلى أصل واحد هو الأصل العربي ، ويعزوها إلى مدينته ، مدينة غرناطة ، اذ يقول أثناء حديثه عن « الغناء العميق » :

« ان هذه الميزات والخصائص ذاتها نجدها في بعض الأغاني الأندلسية ، وهي أغاني لاحقة ، في الزمن ، على تبني الكنيسة الاسبانية للموسيقى البيزنطية ، وهي أغاني ما زالت تحتفظ بشبه كبير بالموسيقى التي تعرف الآن في المغرب والجزائر وتونس بهذا الإسم المؤثر في قلب كل غرناطي عريق ، ألا وهو موسيقى عرب غرناطة » . (١٣٠)

وفي موضع آخر يقول ، أثناء حديثه عن غناء الفلامنكو ، :

« أنه لغناء مجبول بدم شمال إفريقيا « . (١٣١)

ويجد كذلك شبهاً بين أغاني الفلامنكو وأغاني المشرق ، اذ يقول :

« إن الشيء نفسه نجده في « السيغيرية » (Seguiriya)

وبناتها اذ يعثر فيها على أقدم مواد الشرق ، ونفس الشيء نجده في القصائد الكثيرة التي تحاكي « الغناء العميق » وتقتبس منه ، اذ يلاحظ تشابه كبير بينها وبين أعرق الأغاني الشرقية في القدم « . (١٣٢)

وكان يعتبر أوتار القيثار – أدخلها العرب مع اسمها (Guitarra) ذي الأصل الإغريقي إلى اسبانيا) روابط تشد الأندلس إلى العرب ، وهو يغضب اذ يرى القيثارة التي جاءت من الشرق لتعبر عن الأسى والحزن عن الصرامة والغضب ، وقد أصبحت أحياناً، آلة للعزف الساذج والعبث واللعب ، فهو يقول :

«ليس في مكنة أحد أن يربط الأوتار التي توحدنا بالشرق الصلد إلى سارية القيثارة اللعوب ، « ١١٣ » .

وكان كثير الاقتباس من«مواويل » الفلامنكو ومن الأغاني الشعبية الأخرى وكذلك من « الرومانتة » فقد اقتبس « رومانتة » عن العرب عنوانها ، عربيات جيان » (Las Morillas de Jaén) ، وزاد عليها المقطع الأخير ووزع موسيقاها وعزف على البيانو ، وما زال الاسبان يتغنون بها حتى يومنا هذا .

وهذه الرومانثة نجدها في قصائد الرومانثة القديمة ، ومن القرن الخامس عشر ، وهي ليست على أوزان«الرومانتة» المعروفة ، وقد أرجعها المستعرب الاسباني (ريبيرا » إلى أصلها العربي ونسبها إلى هارون الرشيد اذ عثر في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني على قصيدة للخليفة هارون الرشيد شبيهة بها (١٣٤) .

وعثرت المستعربة الشابة (ماريا خيسوس روبيرا Maria Jesùs Rubiera) على قصيدة أخرى شبيهة لشاعر الحمراء ابن زمرك . (١٣٥) وهذه هي ترجمتنا لهذه « الأرجوزة » .

« ثلاث عربيات تيمنني
في « جيان »
عائشة وفاطمة ومريم .
ثلاث عربيات ظريفات ،
كن يرحن لمشق الزيتون ،
فيجدنه قد مشق ،

في جيان .
عائشة وفاطمة ومريم .
فيجدنه قد مشق
فيرجعن قانطات
والألوان ضائعة
في جيان ،
عائشة وفاطمة ومريم
ثلاث عربيات نضرات
كن يرحن لقطف التفاح
فيجدنه قد قطف
في جيان ،
عائشة وفاطمة ومريم
دعهن .
من أنتن ياسيداتي
ياسالبات حياتي ؟
– نحن مسيحيات ، كن مسلمات
في جيان ،
عائشة وفاطمة ومريم . » (١٣٦)

ونلاحظ أنه يبدأ هذا المقطع الذي أضافه بقوله : دعهن ، فكأن هناك من يعترضهن أو يحاول الاعتداء عليهن . وهذا تعريض بمن اضطهدوا ، أثناء محاكم التفتيش ، عرب الأندلس ، حتى بعد اجبارهم على التنصر .ثم ان قوله : « ياسالبات حياتي » يدل على مدى تعلقه بما يمثلنه من دلالات يوجزها بقولهن : « نحن مسيحيات ، كن مسلمات » ، وهذا يعني أن الأندلسيين المسيحيين هم حفدة الأندلسيين المسلمين ، وبالتالي فهم الشعب نفسه أمس واليوم .

ومن محاضرته التي ألقاها عن الشاعر القرطبي (غونغورا) ، أثناء انعقاد المهرجان لاحياء ذكراه عام ١٩٢٧ يقول ، متحدثاً عن هذه « الارجوزة » :

« لست أدري لماذا يستغرب من توارد الخواطر . يبدو لي أن العربيات الثلاث في

« الرومانثة » يأتين لكي يضربن على دفوفهن والألوان ضائعة والأقدام رشيقة » (١٣٧) .

يفسر الشارحون العبارة الواردة في هذه « الرومانثة » : « والألوان ضائعة » ، بأن العربيات الثلاث من خجلهن وقنوطهن فقدن ألوان وجوههن . ولكن ، لوفرضنا أن ذاك كذلك في النص الأصلي ، يبدو لنا أن (لوركا) يفهم من هذه العبارة غير ذلك . ان من يدرس الألوان عند (لوركا) يدرك أن الألوان عنده رموز ذات دلالات ، فهو يرسم بالكلمة وباللون ، ولذلك فنحن نزعم أن (لوركا) كان يعني بهذه العبارة « والألوان ضائعة » ضياع الحضارة الأندلسية . ولطالما ردد بيت الشعر الوارد في مسرحية « قصر الدر » – ذكرناها سابقاً – وهو :

« آه لغرنـــاطـــة
فإن مجدها قد أنقرض » .

وليس المجال هنا متاحاً لمتابعة الحديث عن الألوان عند (لوركا) ، فهذا موعده مقال آخر بعنوان « الألوان عند لوركا وابن قزمان » ، فهما ، في رأينا ، أعظم شاعرين رسماً بالألوان لوحات عجيبة من شعر وزجل ...

٢) موضوع الشعر العربي . – لقد كان (لوركا) معرفة واسعة بالشعر العربي عامة وبالأندلسي خاصة . ونحن نزعم بأنه قرأ كل ماكان قد كتب عن هذا الشعر أو ترجم إلى الاسبانية . وكذلك كان له اطلاع على الشعر الشرقي عامة والفارسي ، خاصة ، فهو يذكر عمر الخيام وحافظ الشيرازي ويستشهد بشعرهما ، ونعتقد أن مرجعه في ذلك كان كتاب « أشعار آسيوية » (Poesîas asiàticas) ، كما صرح بذلك :

« لقد شعرت بعاطفة قوية جياشة حين قرأت هذه الأشعار الآسيوية التي ترجمها (غاسبار ماريا دي نابا Gaspar Marîa de Nava) ونشرها في باريس عام١٨٣٨ ، لأنها استدعت لي ، حالا ، قصائدنا الغنائية « العميقة جداً »(Jondîsimos) »(١٣٨) .

أما مرجعه الرئيسي عن الشعر الأندلسي فقد كان ، في رأينا ، ترجمة (خوان باليرا Juan Valera) (١٣٩) لكتاب « شعر العرب وفنهم في اسبانيا وصقلية (Poesîa y arte de los àrabes en Espana y Sicilia) ألفه المستشرق الألماني (ادولفو فيديريكو دي سشاك Adolfo Federico de Schack) .

يقول (لوركا) في محاضرة يتحدث فيها عن « الغناء العميق » :

« حين تبلغ الأغنية الأندلسية حد الألم والعشق تتآخى في التعبير مع أبيات الشعراء العرب والفرس الرائعة » (١٤٠) .

وفي موضع آخر من المحاضرة نفسها يقول :

« ان مواضيع التضحية والحب العفيف بلا هدف ، والخمر نجدها لدى شعراء آسيويين رائعين، فالشاعر العربي (Séraje - al - Warak) – يمكننا أننقرأ اسم هذا الشاعر بالعربية (سراج الوراق) ، ونحن هنا نحاول أن ننظم مايورده (لوركا) من شعر هذا الشاعر العربي الذي لم نقع عليه بعد ، على البحر البسيط . – يقول :

ان اليمام الذي بالآة أرقـني مثلي له طب في الصدر يتـقـد

وهذا شاعر عربي آخر (Ibn Ziatî) – هنا كذلك نحاول نظم مايورده على البحر الكامل ، إذ لم نعثر عليه بعد ، ويمكن لنا أن نقرأ اسم هذا الشاعر بالعربية (ابن زياد) – ينظم في موت حبيبته المرثية التي في مقدور أي أندلسي من الشعب أن يغنيهـا :

يعزونني أنني أزور ترابـهـا فقلت وهل قبر لها غير أضلعي .(١٤١)

ونحن نعلم أن (لوركا) ديوانا أسماه «ديوان التمريت»(Divàn del Tamarit) ونعتقد أن « تمريت » هي كلمة مركبة من كلمة تمر العربية ومقطع « يت » الذي يضاف في اللغة اللاتينية إلى أواخر الكلمات للتكثير ، كما هو الحال في كلمة مجريط التي هي مركبة من كلمة مجرى العربية ومقطع « يت = يط » اللاتيني ، أي مجاري مياه كثيرة ، وهذا هو معنى اسم مدينة مدريد = مجريط = مجاري مياه كثيرة . وليس المجال هنا بمتسع لكي نفصل الحديث عن ذلك فموضعه « الألفاظ العربية عند (لوركا)»، في مقال آخر . وقد انتهى البحث إلى أن كلمة « تمريت » تعني عراجين التمر أو سعف النخل ، أو النخيل ، وأن (لوركا) كان يعني هذا حين ابتدع هذه الكلمة وقرنها بكلمة ديوان ، أضف إلى هذا أن عناوين قصائد هذا الديوان أما أن تبدأ بكلمة قصيدة العربية (Gasida) ، وإما بكلمة غزل العربية كذلك (Gacela) ، ونظن أنه استمدها من الشعراء الفرس . ونكتفي هنا بسرد عناوين القصائد المسماة قصائد – (يستعمل كلمة قصيدة ١٢ مرة) – : « قصيدة الجرح بالماء » ، « قصيدة النحيب » (١٤٢) ، « قصيدة الحلم في الهواء الطلق » ، « قصيدة المرأة المتمردة » ، « قصيدة الغصون » ، « قصيدة اليد المستحيلة » ، « قصيدة الوردة » ، « قصيدة الفتاة الذهبية » ، « قصيدة الحمائم الغامقة اللون » .

وقد علق الصحفي (لويس غونغورا Luis Gongora) على محاضرة ألقاها (لوركا) في برشلونة ، عام ١٩٣٠ ، قائلا : « ... ديوان التمريت ، الذي أهداه إلى الشعراء العرب الذين نقشوا أشعارهم على جدران قصر الحمراء » (١٤٣) .

أما الصورة الشعرية والمجازات والاستعارات التي بهرت (نيرودا) (١٤٤) وغيره من الشعراء والنقاد فحاروا في تفسيرها ومعرفة مصدرها ، فاننا نزعم أنها من أصداء الشعر العربي في نفس (لوركا) . وتبيان هذا يحتاج منا أن نتتبع الصور الشعرية والاستعارات واحدة واحدة لنقاربها بصور الشعراء العرب واستعاراتهم ، وهذا يتطلب بحثاً آخر ، ولكننا الآن نكتفي بايراد مثل واحد فقط :

يقول (لوركا) من قصيدة عنوانها : « القبض على (انطونيو الكامبوريو) في طريق اشبيلية ، (Prendimient de Antonito El Camborio en el camino de Sevilla) من ديوانه « الرومانثيرو الغجري » :

« في منتصف الدرب
قشر ليمونات مدورة
وراح يرمي بها إلى الماء
حتى جعله مذهباً » (١٤٥)

ويقول الشاعر الأندلسي أبو بحر صفوان بن ادريس ، في مليح يرمي نارنجا في بركة :

«وشادن ذي غنج دله يروقنا طوراً وطوراً يروع
يقذف بالنارنج في بركة كلاطخ بالدم برد الدروع
كأنها أكباد مشتاقة يقذفها في لج بحر الدموع »(١٤٦) .

وقد لفت نظرنا هذا الحوار الشعري في مسرحية « الاسكافية العجيبة » (La zapatera prodigiosa) ، فقد لاحظنا شبهاً كبيراً بينه وبين شعر عمر بن أبي ربيعة :

(الاسكافي الأول) (في حالة ملل) – شعراً – :
« أحد أيام الأثنين صباحاً

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أما افريقيا أو شمال افريقيا (ست مرات في النثر) فانه يعني بها ، دوماً ، المغرب العربي .

وهو يذكر المغرب الأقصى (Marruecos) بلفظه (مرتين في النثر) . ومن العجيب أن أول قصيدة نظمها ذكر فيها المغرب ، إذ يقول ، في مقابلة أجراها معه الصحفي (غوستوس) عام ١٩٣٠ :

« هناك – أي في مدينة المرية وكان عمره لا يتجاوز العشر سنوات – أصبت بمرض في الفم والحنجرة ، فنعني هذا المرض من الكلام ووضعني عند أعتاب المنية . فأخذت مرآة ونظرت فيها إلى نفسي فرأيت وجهي متورماً ، وبما أني لم أكن أقدر على الكلام فقد نظمت أولى قصائدي ، وهي قصيدة هزلية تهكمية ، شبهت نفسي بسلطان المغرب ، مولاي (حفيظ Hafiz) (١٥٥) .

ويذكر الجزائر (مرتين في النثر) ، اذ يقول : « إن لدى مدينة المرية أملا وغباراً من الجزائر » (١٥٦) .

ويذكر تونس كذلك (مرتين في النثر) .

ويذكر « سدوم » (Sodoma) (ثلاث مرات في النثر) ، وقد ألف (لوركا) مسرحية عنوانها «تدمير سدوم» La destruccion de Sodoma)(١٥٧)، وأعلن في الأول من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٥ أنه على وشك الانتهاء منها . ولكن هذه المسرحية الدرامية فقدت ، على الأرجح . ويعتقد أخوه (فرانثيسكو) أن مسرحية « تهديم سدوم » هي نفسها مسرحية « دار (بيرناردا البا) » (La casa de Bernarda Alba) .

ويذكر تـــدمـــر (Palmira) (مرة في المسرح) ، ففي مسرحية « السيدة (روسيتا) العانس » تقول سيدة : « أود أن أفهم ، لكنني بما أني لا أفهم ، فانني أشعر بالرغبة في الضحك ، يالهذا الفحام الذي يقرأ ، دوماً ، كتاباً عنوانه « أطلال تدمر » (Ruinas de Palmira) (١٥٨) .

ويذكر سورية (مرة واحدة) (١٥٩) ، وكذلك كهوف فلسطين (مرة واحدة)(١٦٠) ويذكر دمشق (مرتين في النثر) إذ يقول ، أثناء حديثه عن القديسين ، : « ملاك طريق دمشق » (١٦١) ، ويصف الحرير المعروف بالدمشقي – الدمقس – بأنه باخ لونه (١٦٢).

ولم نحص عدد المرات التي يذكر فيها القدس والناصرة وبيت لحم لأنه ، فيها ، يتحدث عن المسيح ومريم العذراء ومواضيع أخرى دينية .

٤) موضوع العرب . – يكثر (لوركا) من الحديث عن العرب (يذكر كلمة عرب أو عربي ، بلفظها ، إحدى عشرة مرة في النثر ومرتين في المسرح) ، في معرض حديثه عن قصر الحمراء يقول :

« ثمة في الجانب الآخر فناء عتيق ... فناء قد يكون الخصيان رقدوا فيه تحت ضوء القمر . فناء مبلط بالطحلب ، بظلال عربية في الجدران . وهناك جيب (Aljibe) كبير عميق رهيب » (١٦٣) .

وأثناء كلامه عن حي البيازين يقول : « عبر الدروب ترى الروابي المذهبة بالأسوار العربية » (١٦٤) . وهو يصف مشهداً في مسرحية « (ماريا بينيدا) » (Mariana Pineda) قائلا :

« (دير القديسة مريم « المتمصرة » (Egipciaca) في غرناطة.ملامح عربية . أقواس . أشجار سرو . ينابيع صغيرة . رياحين) » (١٦٥) .

أما كلمة « مورو » التي تعني العربي أو المسلم ، على التعميم فإنه يذكرها (سبع مرات في النثر وتسع مرات في الشعر ومرة واحدة في النثر) . وكان يفتخر بأن يدعى هونفسهبالمورو ، ففيمقابلةمعالصحفي(خيمينيث كابا يير و E. Giménez Caballero) عام ١٩٤٨ ، يقول له الصحفي : « أيعجبك ، ياعزيزي (لوركا) أن أدعوك بإلماس لايثمن ، بمستقبل بلا زمن ، بخلود حالي أنسي ، بسروة ، بفأل ، بمحرك ، بمشط ، بحساء لحن شعبي ، بانتصار ملك أوراق اللعب ، بهرقل من ثلج ، بمورو» ، فيجيب(لوركا): «لا أرى بهذا أية غضاضة، ألا أنك تسلبني رقمي الأعلى في الألقاب»(١٦٦)

ويذكر « موريسكو » (Marisco) (خمس مرات في النثر) . والموريسكيون هم العرب الذين طردوا من اسبانيا ، أثناء محاكم التفتيش ، فهاجروا إلى تونس والجزائر والمغرب .

ويذكر المدجنين (Mudéjares) (مرة واحدة في الشعر) . والمدجنون هم العرب الذين آثروا البقاء في الأندلس على الهجرة بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ .

وقد برزوا في فنمن البناء ينص إليهم ، وهو مزيج من النمط العربي والنمط الاسباني المسيحي وكانوا يستعملون الآجر في البناء .

يقول (لوركا) – شعرا – :

« أيها البرج العتيق
أهرق دموعك المدجنة
فوق هذا الفناء الوقور
الذي ليس فيه نبع » . (١٦٧)

– هذه الأبيات تستحق التحليل ، ولكن هذا سنعالجه في بحث آخر فقد أطلنا ، علما بأن رئاسة التحرير قد طلبت منا أن يكون هذا المقال في حدود خمسة آلاف كلمة ! ! ! ، وعلما بأننا نكتفي بإيراد مايقوله (لوركا) حتى نوجز ولكي نكون موضوعيين في هذا الموضوع الجديد في الدراسات اللوركوية – .

ويذكر العجمي (Aljamiado) (مرة واحدة في الشعر) ، والعجمي لفظ أطلقه العرب الأندلسيون على ما ماكان ينطق به المستعمرون (Mozàrabes) – – بفتح الراء – من ألفاظ لاتينية عجمية ثم أطلقه الاسبان على ماكان يكتبه « الموريسكيون » من لغة اسبانية بحروف عربية – فاعجب للدهر ! –

يقول (لوركا) :

« كان الملاك العجمي
ذو الخرز الغامق
يبحث في جوهرة الأمواج الصوتية
عن وشوشة وعن مهد » (١٦٨) .

– وهذه الأبيات ، كذلك ، تحتاج إلى التحليل والشرح . لكننا نثق بقدرة القارىء العربي على ذلك – .

٥) موضوع الموت والقمر والقضاء والقدر . – يقول (لوركا) في معرض حديثه عن المرأة الأندلسية في حي البيازين بغرناطة : « اذا ماولولت امرأة على وليدها الميت أو على فقيد لها فان ماتنوح به لهو أنين (١٦٩) ، وأن السواعد النادبة والضفائر الشعثاء لتنم عن خذلان الحظ وتدل على اعتقاد بالقضاء والقدر اعتقادا اسلامياً حقيقياً » (١٧٠) .

وبفكرة المقدر (Fatalismo) هذه والاعتقاد بالقضاء والقدر كان يؤمن (لوركا) وغيره من الشعراء الاسبان ، (مانويل ماتشادو) (فاناندو بيالون) ، وان من يقرأ شعر (لوركا) ومسرحه ونثره ومن يطلع على الفصل الذي كتبه (نيرودا) في مذكراته تحت عنوان (الجريمة حدثت في غرناطة) عن قتل (لوركا) وكيف أن (لوركا) تشاءم من مشهد رآه فتوقع موته (١٧١) ، يخلص إلى أن هذه الفكرة كانت محور حياته وموته ، بل نحن نزعم أنه من غير هذه الفكرة الطاغية عليه لا يمكن فهم شعره ونثره أو مسرحه . ولنكتف الآن ببعض الأمثلة :

في مقابلة مع الصحفي ، : بيدرو ماسا Pedro Masa عام ١٩٣٣ يجيب على سؤال الصحفي « ماهي أكثر لحظة تعجبك وترضيك في مسرحية « الأعراس الدموية » (Bodas de sangre) يا (فيديريكو) ، قائلا : « تلك اللحظة التي يتدخل فيها القمر والموت كعنصرين رمزيين للمقدر(Fatalismo) .

وحين ينصح قبل ذهابه ، للمرة الأخيرة ، إلى غرناطة – كانت تحت سيطرة الفاشيست وقد نشبت الحرب الأهلية ، بالا يذهب ، يجيب : « فليكن ماقدر الله » . (١٧٣) فمضى إلى غرناطة ليلقى حتفه اذ « اغتيل ولم يعدم » كما يقول نيرودا) في مذكراته ، (١٧٤) في فجر يوم التاسع عشر من شهر آب (اغسطس) عام ١٩٣٦ ، قرب زيتونة في ضواحي غرناطة بالأندلس ، وكان قد أوصى – في قصيدة – بأن يدفن تحت الرمال ، العربية؟، اذ يقول :

« حين أموت
ادفنوني مع قيثارتي
تحت الرمال » . (١٧٥)

أمافي الشعر فاننا نورد هنا ، فقط ، قصيدتين له : القصيدة الأولى عنوانها : « مصرع انطونيتو الكامبوريو » (Muerte de Antonito el Camborio) – – فنلاحظ أزمنة الأفعال فهي في الماضي علما بأن الحديث في الحاضر ، وحدث المقطع الأخير من القصيدة في المستقبل ، وهدا يدل على المقدر . – :

« أصوات الردى دوت
قرب « الوادي الكبير » ،

أصوات قديمة تحيط
صوت الرجولة القرنفلي ،
أوجرهم فوق الجزمات
بطعنات كعضات الجبلي (١٧٦) ،
في النزال كان يشب
كخنزير البحر في رغائه ،
لطخ بدم العدو
ربطة عنقه القرمزية ،
لكنها كانت أربعة خناجر
وكان له أن يهزم ،
حين النجوم تسمر ،
حرابا في الماء الرمادي ،
حين العجول تحلم
بلبلاب الخيري ،
أصوات الردى دوت
قرب الوادي الكبير ،
(انطونيو توريس هريديا ،
كامبوريو) ذو عرف متين ،
أسمر من قمر أخضر ،
صوت الرجولة القرنفلي ،
من نزع منك الحياة
قرب الوادي الكبير ؟
– أبناء عمي الأربعة ، من (هيريديا)
أبناء « بن بشير » (١٧٧)
مالم يحسدوه في الآخرين
حسدوه في . .
أحذية بلون « كورنتي » (١٧٨) ،
أوسمة من عاج ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهذه البشرة المجبولة
بالزيتون (١٧٩) والياسمين .
– أواه ، (أنطونيو الكامبوريو)
لأنت أهل لامبراطورة ،
اذكر مريم العذراء
فانك تموت .
– أواه ، (فيديريكو غارثيا) ،
ناد على الحرس المدني ،
فها أن قامتي انحنت
مثل قصب الذرة .
تقيأ ثلاث خفقات من دم
ومات موسد الخد .
فلتحي نقدا
لن يعاد صكه أبدا ،
ملاك راحل
يضع رأسه فوق وسادة ،
آخرون ، وهم من حياء متعبون ،
أشعلوا قنديلا ،
وحين يصل أبناء العم الأربعة
إلى « بن بشير » ،
أصوات الردى دوت
قرب الوادي الكبير » . (١٨٠)

والقصيدة الثانية عنوانها : « أنشودة فارس » (Cancion de jinete) (١٨١) فلنلاحظ كيف أن القمر البدر هو رمز للموت عنده ، بمعنى بداية النقصان والزوال – :

« قرطبة .
نائية وحيدة ،
مهرة سوداء ، قمر كبير (١٨٢) ،
وزيتون في خرجي (١٨٣) .

مع أنني أعرف الدروب
فأنا أبداً لم أبلغ قرطبة .
عبر السهوب ، مع الرياح
مهرة سوداء ، هالة حمراء ،
المنية ترمقني
من على أبراج قرطبة .
أواه ، ياله من درب طويل طويل
أواه يالمهرتي الجريئة
أواه ، فالمنية تترقبني
قبل بلوغ قرطبة .
قرطبة
نائية وحيدة » . ( )

– هذا الموضوع يستدعي منا بحثا مفصلا مدعماً بالشواهد الكثيرة والتحليل – ولكننا ، مع ذلك ، لم نستوف المواضيع العربية عند (لوركا) حقها فان علينا أن ندرس مسرحياته ونحلل أبطالها فموضوع المرأة العانس والمرأة العاقر وموضوع الشرف والثأر وغير ذلك ، وهو كثير ، يستحق منا أن نفرده في بحث آخر .

وبعد، فهل كنا مبالغين حين قلنا بأن (لوركا) شاعر عربي كان يكتب باللغة الاسبانية ؟

الدكتور محمود صبح
أستاذ بجامعة مدريد المركزية .

١) لا يتسع المجال هنا لمعالجة الألفاظ ذات الأصل العربي عند (لوركا)وتعدادها وتبيان مواضع استعمالها ومعانيها ورموزها ، فقد قمنا بدراسة ذلك كله في كتاب ننوي نشره باللغتين العربية والاسبانية تحت عنوان المواضيع والألفاظ العربية عند (لوركا) ولسوف نقتصر في هذا المقال على ذكر الألفاظ العربية التي يستعملها (لوركا) في الشواهد التي نوردها أثناء بحثنا هذا ، وكذلك سوف نذكر عدد المرات التي يستعملها فيها ، في النثر ، في الشعر ، في المسرح .

٢) (بابلو نيرودا) مذكرات . ترجمة وشروح الدكتور محمود صبح . مؤسسة الدراسات العربية . بيروت ، ١٩٧٥ .

٣) (بابلو نيرودا) = هو (نيفتالي ريكاردو ريس باسوالتو Neftali Ricardo Reyes Basoalto) ولد في قرية « العريشة » (Parral) بتشيلي في ١٢ تموز (يوليو) عام ١٩٠٤ ،وتوفي في « سانتياغو » (Santiago) عاصمة تشيلي في ٢٣ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٣ .

انظر ترجمة حياته مفصلة بالترتيب الزمني في مذكراته من ص ٥٠٤ إلى ص ٥١١ . أو في كتابنا : مختارات من شعر (بابلو نيرودا) ، بغداد ، ١٩٧٤ ، من ص ٧٠ إلى ص ١٧٠ ..

٤) (خوسه اورتيغا أي غاسيت) = ولد في مدريد عام ١٨٨٣ وتوفي فيها عام ١٩٥٥ .

انظر ترجمة لحياته وسرداً لمؤلفاته وبعضا من مقالاته في كتابنا : (« دون كيخوته ») في القرن العشرين . المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٦٨ ، من ص . ٦ إلى ص ٢٠ .

٥) (كوديرا)=هو (فرنثيسكو كوديرا زيدين Francisco Codera Zaidin ولد في قرية بمنطقة « اراغون » (Aragon) عام ١٨٣٦ وتوفي عام ١٩١٧ .

٦) (ريبيرا) = هو (خوليان ريبيرا اي تراغو Julián Ribero y Tarrago) .

ولد في « بلنسية » (Valencia) عام ١٨٥٨ وتوفي عام ١٩٣٤ .

٦) (ميغيل اسين بلا ثيوس) = ولد في قرية بمنطقة « اراغون » عام ١٨٧١ وتوفي عام ١٩٤٤ .

٨) (اميليوغارشيا غوميت) = ولد في مدريد عام ١٩٠٥ . يعيش الآن في مدريد .

٩) (مانويل ما تشادو) = ولد في اشبيلية عام ١٩٧٤ وتوفي في مدريد عام ١٩٤٧ .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الا سباني المعاصر . بغداد ، ١٩٧٣ . من ص ١٦ إلى ص ٢٢ .

١٠) (رافائيل البرتي) = ولد في بلدة « ميناء القديسة مريم » (Puerto de Santa Maria) بناحية « قادش » (Càdiz) عام ١٩٠٢ . يعيش الآن في روما .

11) Emilio Garcia Gomez, Casidas de Amalucia, Revista de Occidente, Madrid 1976, ps. 151-154

١٢) (واشنطون ايرنينغ) = ولد عام ١٨٧٣ وتوفي ١٨٥٩ . من مؤلفاته : « تاريخ فتح غرناطة » ١٨٢٩ و « حكايا غرناطة » – موضع الشاهد – ١٨٣٢ .

١٣) (غوستابو ادولفو بيكر) = ولد في اشبيلية عام ١٩٣٦ وتوفي في مدريد عام ١٩٦٠ .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتاب : منتخبات من قصائد (بيكر) . ترجمة مجموعة من الكتاب السوريين ، المعهد الا سباني العربي للثقافة ، مدريد عام ١٩٦٦ أو في الطبعة الجديدة ، مدريد ١٩٧٧ .

١٤) كنا اقترحنا استعمال هذا النعت بالهاء للدلا لة على الناطقين باللغة الا سبانية جميعا من اسبان ومن امريكيين لا تينيين ، مقابل اسباني (Espanol) الذي لا يدل الا على من هو من اسبانيا قصرا .

انظر : (بابلو نيرودا) ، مذكرات . ص . ٣٧٩ .

١٥) (روبين داريو) = هو شاعر من « نيكراغوا » (Nicaragua) بأمريكا الوسطى (١٨٦٦ – ١٩١٦) .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الهسباني (جيل ٩٨ وجيل ٢٧) ، المعهد الا سباني العربي للثقافة ، مدريد – قيد الطبع – .

١٦) الدفلي = هكذا في الأصل (adelfa) ، عن العربية مع قلب في الحروف ، من أصل اغريقي = (Sàovn) .

يستعملها (لوركا) (١١ مرة في الشعر – ٣ مرات في المسرح) .

١٧) مختارات من الشعر الا سباني المعاصر – مذكور سابقا – ص . ١٨ – ١٩ .

١٨) لعل أفضل من عبر عن هذه الصدمة والبلبلة والنقد الذاتي هو الفيلسوف الشاعر الروائي الا سباني (ميغيل دي اونا مونو Miguel de Unamuno) ،(١٨٦٤ – ١٩٣٦) .

انظر ترجمة لحياته وسردا لمؤلفاته وبعضا من مقالا ته في كتابنا : (« دون كيخوته ») في القرن العشرين – مذكور سابقا – من ص . ٢١ إلى ص . ٣٦ . أو ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الا سباني المعاصر – مذكور سابقا – من ص . ٩ إلى ص . ١٦٠ .

١٩) (انطونيو ما تشادو (= ولد في اشبيلية عام ١٨٧٥ وتوفي في قرية « كوللير » (Colliure) بفرنسا عام ١٩٣٩ .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا مختارات من الشعر الا سباني المعاصر – مذكور سابقا – من ص . ٢٣ إلى ص . ٥٣ . أو كتابنا : (انطونيو ماتشادو) مختارات شعرية ، بغداد ، – قيد الطبع – .

٢٠) (قزول Gazul) = أكثر الشعراء الرومانطيكيين من الحديث عن الأمير العربي (قزول) ، وهو من قبيلة (قزولة) – بنطق القاف بلهجة بدوية – . وهناك بلدة قرب « مدينة شذونة » (Medina Sidonia) – حيث نزل جند فلسطين أثناء الفتح العربي للاندلس – تدعى « قلعة بني قزولة » (Alcalà de los Gazules) .

٢١) لغة عربية = في النص الا سباني (Algarabia) وهي تعني ، عادة ، اللغة العربية أو ما كان له جلبة أو ما هو مبهم غير فصيح لا يفهم ، كما هي الأعجمية بالنسبة لنا .

٢٢) موال = « سمحنا لأنفسنا ترجمة (Copla) بموال لما بينهما من تشابه .

٢٣) « عرابيا » = هكذا في الأصل (Arabia) أي الأرض العربية .

وكنا اقترحنا أن تطلق كلمة عرابيا على الوطن العربي كله رمزا للوحدة العربية التي تأتي ولا تأتي ! ! . . . . . فكما أننا نقول سورية وليبيا فلنقل عرابيا .

٢٤) جنينة عربية – أندلسية = يعني بيته الذي ولد فيه باشبيلية . يقول من قصيدة عنوانها « صورة شخصية » (Retrato) :

« طفولتي ، ذكريات فناء في اشبيلية

وجنينة صافية حيث ينضج الليمون » .

انظر القصيدة كاملة في كتابنا : مختارات من الشعر الاسباني المعاصر ، مذكور سابقا ، ص ٢٥ – ٢٦ .

٢٥) ياسمين = هكذا في الأصل (Jazmin) ، عن العربية .

٢٦) جبر = هكذا في الأصل (àlgebra) ، عن العربية ، أي علم الجبر ، وقد أصبحت هذه الكلمة مصطلحا علمياً عالميا ، كما نعلم .

٢٧) القصيدة كاملة في كتابنا : (انطونيو ماتشادو) مختارات شعرية . – قيد الطبع – . ترجمناها عن كتاب

Antonio Machado, Pœsias Completas, Coleccion Austral No. 149. Espasa Calpe Edicion décimo quinta, Madrid 1974- ps. 55-57

٢٨) (خوان رامون خيمينيث) = ولد في قرية من قرى « ولبا » (Huelva) عام ١٨٨١ وتوفي في « بورتو ريكو » (Puerto Rico) بأمريكا عام ١٩٥٨ .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الاسباني المعاصر . مذكورسابقا ، من ص . ٥٤ إلى ص ٦٢ .

٢٩) (فرناندو بيالون) = ولد في بلدة « موررون » (Moron) من ناحية «قادش » عام ١٨٨١ وتوفي في مدريد عام ١٩٣٠ .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره ، مع مقدمة ودراسة وشروح ، في كتابنا : (فرناندو بيالون) ، مختارات شعرية باللغتين العربية والاسبانية ، . المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٦ .

٣٠) (ايزابيل) = لقد أجرينا معها حديثا حين زرناها في بيتها عام ١٩٦٦ بصحبة المخرج التونسي علي بن عياد الذي أخرج مسرحية (لوركا) ، « الأعراس الدموية » (Bodas de sangre) . وقد علمنا أن علي بن عياد قد توفي قبل عدة سنوات ، رحمه الله فقد كان من أحسن المخرجين المسرحيين العرب .

31) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, Aguilar, Madrid 1972, p. 1698

٣٢) « رومانثه » (Romance) = هي نوع من القصائد من الشعر المغفل الذي انتشر في اسبانيا أثناء القرون الوسطى . وقد أحيا هذا النوع من الشعر كل من (فرناندو بيالون) و (لوركا) في مطلع هذا القرن .

ومن طريف ما يروى عن (خوان رامون خيمينيث) أنه كان يرد على من يخاطبه بالهاتف قائلا بصوته : « يقول (خوان رامون خيمينيث) ، انه غير موجود في البيت » . ولطالما أزعجه الشعراء الشبان ، ومنهم (لوركا) ، بمكالماتهم الهاتفية ، ولكنهم كانوا لا يلقون منه الا الازدراء . غير أن (بابلو نيرودا) في مذكراته يعلل ذلك بأنه كان يحسدهم ! . . . (المذكرات ص ١٧٥ و) .

٣٢) « شريش » = هي بلدة في الأندلس السفلى (La baja Andalncia) ، تقع قرب « مدينة شذونة » ، وتدعى بالاسبانية (Jerez de la Frontera) أي « شريش الحدود » ، لأنها كانت حدا بين مملكة غرناطة العربية واسبانيا الكاثولكية . وهي معروفة بنبيذها الذي ما زال الانجليز يتجرعونه في نهم وكثرة ويدعونه باسم البلدة القديم (Cherry) . وهي مشهورة ، كذلك ، بثيرانها وخيولها ، وبأعناق نسائها بعيدات مهوى القرط وبعيونهن الحوراء وأهدابهن الوطفاء ، وهي مهد غناء الفلامنكو ومركزه .

٣٣) « قشتالة » (Castilla) = هي المنطقة الوسطى باسبانيا ، وكانت (ايزابيل الكاثولكية Isabel la Catolica) ملكة عليها ، وتزوجت بـ (فرناندو Fernando) ملك « اراغون » فوحدت اسبانيا لتشن حربا ضروسا على مملكة غرناطة العربية ، آخر معقل عربي في الأندلس .

٣٤) (فرناندو بيالون) مختارات شعرية باللغتين ، مذكور سابقا ، ص . ٣٤ — ٣٥ .

٣٥) المصدر نفسه ص . ١٠٢ — ١٠٣ .

٣٦) المصدر نفسه ص . ٥٨ – ٥٩ .

٣٦) نشر (بيالون) ديوانه « روما نتثيات » ٨٠٠ « (Romances 800) (في مدريد عام ١٩٢٩ ، علما بأنه كان قد نظمه قبل ذلك بعدة سنوات ، قبل أن يبدأ (لوركا) بنظم ديوانه « رومانثيرو غجري » (Romancero Gitano) فقد شرع فيه عام ١٩٢٤ وأنهاه عام ١٩٢٧ .

٣٨) (فرناندر بيالون) ، مختارات شعرية باللغتين . مذكور سابقا ، ص XXVI من دراسة (دي كوسيو) التي أضفناها إلى هذا الكتاب (بالا سبانية) .

٣٩) (لويس غونغورا)= ولد في قرطبة عام ١٥٦١ وتوفي فيها عام ١٦٢٦ . جرى الا حتفال بذكراه بعد ثلا ث مئة سنة .

٤٠) يشبه في هذا شاعرنا الكبير ابا تمام .

٤١) (خورخه غيين) = ولد في مدينة « بلد الوليد » (Valladolid) عام ١٨٩٣ . يعيش الآن في الولا يات المتحدة الأمريكية . وقد منح في هذا العام ١٩٧٧ ، جائزة (ثيربانتيس Cervantes) للآداب . كان صديقا حميما ل (لوركا) ، يزوده بنصائحه الأدبية القيمة .

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الا سباني المعاصر ، مذكور سابقا ، من ص . ٦٨ إلى ص . ٧٢ .

٤٢) (داماسو الونسو) = ولد في مدريد عام ١٨٩٨ . هو الرئيس الحالي للمجمع اللغوي الا سباني ، وقد ترأس الهيئة التي منحتني جائزة « المو » (Alamo) الدولية للشعر في أواخر عام ١٩٧٥ عن كتابي الذي نظمته باللغة الا سبانية « قصائد أبو طارق »

Libro de las Kasidas de Abu Tàrek

انظر ترجمة لحياته ومختارات من أشعاره في كتابنا : مختارات من الشعر الا سباني المعاصر ، مذكور سابقا ، من ص . ١٠٥ إلى ص . ١١٠ .

٤٣) (خيراردو دييغو) – ولد في « سانتاندير » (Santander) عام ١٨٩٦ . يعيش الآن في مدريد .

٤٤) (استيبانيث كالدرون) – (١٧٩٩ – ١٨٦٦) .

٤٥) نحن الآن في صدد اعداد كتاب عن المواضيع والألفاظ العربية في الشعر الا سباني المعاصر .

٤٦)«المنجى»–هي المنطقة التي تدور فيها أحداث(« دون كيخوته) (Don Quijote) رواية (ثيربانتيس) الرائعة الخالدة . ولا يعرف ، حتى الآن ، أصل أسم هذه المنطقة ، ولكننا نزعم بأنه الكلمة العربية المنجى حيث ترجى النجاة ، إذ أنها منطقة قفراء بيداء تشبه الصحراء ، ونحن نعلم أن العرب يدعون الصحراء بالمفازة تفاؤلا بالفوز وأملا في النجاة .

٤٧) هناك اختلاف في تاريخ يوم ولادته ، إذ أن بعضهم يقول بأنه ولد في الحادي عشر من هذا الشهر ، علماً بأنه في هذا اليوم جرى تعميده وعمره ستة أيام ، كما بين ذلك الناقد الشاعر الاسباني (خوسه لويس كانو José Luis Cano) في كتابه القيم : « (غارثيا لوركا) ترجمة مزودة بالصور »

Garcia Lorca, Biografia ilustrada, edicion José Luis Cano. Destino, segunda edicion, Barcelona 1964- p. 7

ومن الطريف أن (لوركا) كان ينقص من عمره سنة ويقول بأنه ولد عام ٩٩ وليس عام ٩٨ .

48) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1595.

49) Garcia Lorca, biografia ilustrada, p. 59

٥٠) (بياسبيسا) – هو (فرانثيسكو بياسبيسا Francisco Villaespesa)ولد في محافظة « المرية » عام ١٨٧٧ وتوفي عام ١٩٣٦ . نشر هذه المسرحية الشعرية عام ١٩١١ثم نشر : «ليالي جنات العريف » (Nocturnos del Generalife)عام ١٩١٦ .

51) Garcia Lorca, biografia ilustrada, p. 34

52) Federico Garcia. Lorca- Obras Completas, p. 5

53) id., p. 5.

54) id., p. 5

٥٥) يستعمل المغاربة ، مثلا ، قليبي ،= قلبي ، كبيدة = كبد ، فمن أغنية مغربية : « دابا = الآن ، يجي = يجيء لكبيدة = الكبد = الحبيب ، دابايجي ، وحشتني حيرتي ، بكذوبك = بأكاذيبك ، وحشتني ... » .

56) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 20

٥٧) من طريف مايروي عازف القيثار الاسباني المعروف (اندريس سيغوبيا Andrés Segovia) عن (لوركا) أثناء وجودهما في نيويورك أن (لوركا) لم يتعلم شيئاً من اللغة الانجليزية مع أنه قضى في نيويورك سنة كاملة .

٥٨) « كرسي المورو » (Silla del Moro) = هو موضع في ربوة قرب قصر الحمراء ، يطل على غرناطة . وقد كتب أستاذنا (اميليو غارثيا غوميث) كتاباً ، عن ذكرياته في غرناطة ، عنوانه : « كرسي المورو ومناظر أندلسية جديدة » (Silla del Moro y Nuevas Escenas Andaluzas) ، يستشهد فيه باشعار (لوركا).

59) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 21.

60) Id., p. 25

٦١) « لاس فاياس » = هي أعياد تجري في مدينة « بلنسية » بمناسبة عيد القديس يوسف في ١٩ من شهر آذار (مارس) كل عام . وتحرق فيها رسوم وهياكل تهكمية ضخمة تكلف الملايين من البيسيتات . ويعتقد أن هذه الطقوس تعود إلى العهود الوثنية .

٦٢) الحبق = هكذا في الأصل (albahaca) ، عن العربية ، يستعملها (لوركا) (مرتين في النثر – مرتين في الشعر – ٣ مرات في المسرح .) .

٦٣) الزعفران = هكذا في الأصل (azafràn) ، عن العربية ، يستعملها (لوركا) (٤ مرات في النثر – ٤ مرات في الشعر – مرتين في المسرح .) .

٦٤) (يوحنا الصليبي) = هو أعظم متصوف اسباني ومن أفضل شعراء اسبانيا . تأثر بالمتصوف الأندلسي الشيخ محي الدين بن العربي .

65) Federico Garcia Lorca, Obras Completas- p. 10

٦٦) انظر صورته وهو مرتد الأزياء العربية المغربية ، وصورة أخرى له وهو جالس القرفصاء في باحة السباع ، في«مجلة الاسبوع»العربي عدد ٨٢٦ بتاريخ ٧/٤/ ١٩٧٥ حيث أجرى معنا الصحفي الكاتب السوري ياسين رفاعية مقابلة تشغل الصفحات ٦٤ – ٦٦ من هذا العدد .

67) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1701

٦٨) الخنجر =هكذا في الأصل(alfanje) ،عن العربيةمع تغيير في نطق الحروف .

٩٦) الغزوة = هكذا في الأصل (razzia) ، عن العربية ، وقد دخلت إلى اللغة الاسبانية .عن طريق الفرنسية التي أخذتها عن اللهجات المغربية . ونحن نعرف أن الفرنسيين لا يقدرون على نطق الراء فيلفظونها مثل نطق الغين ، ولذلك حدثت التغييرات في رسم الكلمة بالحروف اللاتينية ، ظناً منهم بأن الحرف الأول هو الراء . . . . .

70) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1699

71) id., p. 6

72) id., p. 1581

73) id.- p. 671

74) id., p. 1564

75) id., p. 1565

76) id., p. 1573

والحمراوية نسبة إلى قصر الحمراء .

77) id., p. 1663

78) id., p. 1686

79) id., p. 1369

و ياسمين = هكذا في الأصل (jazmin) ، عن العربية يستعملها (لوركا) (٥ مرات في النثر – ١٤ مرة في الشعر – ٢٠ مرة في المسرح) .

80) id., p. 1676

. و الريحان = هكذا في الأصل (arrayàn) ، عن العربية ، بصيغة الجمع ، يستعملها (لوركا) (٨ مرات في النثر – مرة واحدة في الشعر ، ٥ مرات في المسرح .) .

81) id.- p. 1688

82) id., p. 1565

وسوف نتحدث من بعد عن المدجنين . . .

83) id., p. 1565

والزرقة أو الأزرق أو الزرقاء = في الأصل (azul) ، عن العربية من كلمة لازورد ذات الأصل الفارسي .

84) id., p. 3

85) id., p. 12

86) id., p. 51

87) id., p. 1571

88) id., p. 1571

٨٩) الخزامي = هكذا في الأصل (alhucema) ، عن العربية ، يستعملها (لوركا) (مرة واحدة في النثر – مرة واحدة في المسرح .) .

٩٠) الكاشميرية = نسبة إلى كشمير .

91) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1567

92) id.- p. 1573

93) id., p. 781

94) id., p. 800 y 835

٩٥) ضيعة = الكلمة من أصل عربي = (aldea) ، عن اللهجات الشامية .

96) Garcia Lorca, biografia ilustrada., p. 7

97) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1664

98) id., p. 1659

99) id., p. 1659

١٠٠) , مورو (moro) = هونعت أطلقه الرومان على سكان شمال افريقيا ، ويطلق ، أحياناً ، عـلى العرب كافـة وقد يشمل المسلمين عامة . ونظن أن هذه الكلمة كانت تعني اللون الأسمر الذي جبلت به البشرة العربية بشكل عام .

ويدعم رأينا هذا أن كلمة (moreno) في الاسبانية ، وتعني أسمر اللون ، مشتقة من كلمة « مورو» ، وقد أدرك هذا الشاعر (فرناندو بيالون) فهو يقول في قصيدة عنوانها ، « رومانثة ٨٣٠» ، أثناء حديثه عن سلسلة الجبال المحيطة بقرطبة والمعروفة بـ « سيرا مورينا » (Sierra Morena) أي الجبال السمراء .

" ان سيرا مورينا

لهي جبال اسبانيا السمراء (morena)

اذ أن قمها عربية (mora)

لان روحها عربية (mora)» ! ! .

انظر القصيدة كاملة في كتابنا : (فرناندو بيالون) مختارات شعرية باللغتين ، مذكور سابقاً ، ص ، ٦٢ – ٦٧ .

١٠١) « سيرا نيفادا » = أي سلسلة الجبال الثلجية ، وهي الجبال المحيطة بغرناطة .

102) Federico Garcia Lorca- Obras Completas, p. 1602

103) id., p. 1713

والدانتي هوالكاتب الايطالي المشهور (Dante) مؤلف « الكوميديا الالهية » . (١٢٦٥ – ١٣٢١)

104) id., p. 1700

105) id., p. 1568

106) id., p. 51

107) id., p. 51

108) id., p. 1566

109) id., p. 1659

110) id., p. 1659

111) id.- p. 1699

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١١٢) كان (بابلو نيرودا) قد اقترح على (لوركا) أن يسمي هذا الديوان : « مدخل إلى الموت » (Introduccion a la muerte) فتعجبه الفكرة ثم يعدل عنها .

113) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 1698

114) Garcia Lorca, Biografia ilustrada, p. 124

١١٥) السوسن = هكذا في الأصل (azucena) ، عن العربية ، يستعملها (لوركا) (مرتين في النثر – ٩ مرات في الشعر – ٨ مرات في المسرح .) .

116) Gacia Lorca, Biografia ilustrada, ps. 122-124

117) id., p. 15

١١٨) (بابلو نيرودا) مذكرات ، مذكور سابقاً ، ص ١٧٩ .

١١٩) هو كتاب نثر شعري نشره عام ١٩١٨ في غرناطة

120) Fedrico Garcia Lorca Obras conpletas, p., 1698

١٢١) كان يشارك صديقه الرسام المشهور (سالفادور دالي Salvador Dali) في المعارض بلوحاته ورسومه . كان يلقي العديد من المحاضرات في الأدب والفن . فقد ألقى في مهرجان احياء ذكرى(غونغورا) محاضرة عنوانها : « الخيال الشعري عند (غونغورا) » على نحو مافعله أبو القاسم الشابي ، بعده ، اذ ألقى محاضرة عنوانها الخيال الشعري عند العرب ، وقد أسس (لوركا) مجلة أدبية أسماها « ديك » (Gallo) وأنشأ في مدريد فرقة مسرحية دعاها « كوخ » (Barraca) .

١٢٢) الجباب = ج . جب ، هكذا في الأصل (aljibe) ، في حالة الجمع عن العربية يستعملها (لوركا) (٥ مرات في النثر – ٣ مرات في الشعر – مرتين في المسرح .).

١٢٣) هناك أراء مختلفة حول أصل الفلامنكو ، نسردها بايجاز – دون تعليق منا – .

١ – أنه من أصل غجري (gitano) ، أتى به الغجر عبر رحيلهم الدائم وتنقلهم المستمر من السند إلى بلاد فارس فالعراق فبلاد الأناضول فسهول بوهيما فجنوب أوربا إلى اسبانيا ، وهذا مرفوض ، لأنه لو كان ذلك كذلك لكان الغجر في أماكن أخرى من العالم حيث عبروا أو نزلوا ، قد احتفظوا به واشتهروا بغنائهم له ، كما هو الحال عليه في اسبانيا وبخاصة في « اندلثيا » .

٢ – أنه من أصل بيزنطي (bizantino) ، نقله البيزانطيون بعد سقوط القسطنطينية بأيدي الأتراك العثمانيين ، إلى بلدان أوربا فأثروا بموسيقاهم وألحانهم وأنواع غنائهم وغير ذلك في شعوب البلدان التي استوطنوها ، حتى أن الكنيسة الكاثوليكية تبنت هذه الألحان وطرق الأداء هذه في طقوسها . وهذا مردود للسبب نفسه .

٣ – أنه من أصل « فلاندري » (flamenco) ، فقد كان البحارة « الفلاندريون » يترددون على موانىء اسبانيا ببواخرهم ، وأسس بعضهم في مدينة « قادش » فروعاً لمصارفهم وشركاتهم التي كانت تتاجر مع الشرق ،أواخر القرن الثامن عشر أوائل القرن التاسع عشر ، فتعلم الاسبان منهم هذا النمط من الغناء . وهذا مدحوض ، لأنه كان بالأحرى أن تعرف به بلجيكا أو هولاندا حيث يسكن هؤلاء .

٤ – أنه من أصل عربي (aràbigo) ، خلفه الاندلسيون في اسبانيا فورثه عنهم الاسبان ، أوتعلموه منهم حتى أن أصحاب هذا الرأي يفسرون كلمة « فلامنكو » بـ فلاح منكم ، أي أن الاسبان كانوا يقولون للعرب الذين آثروا البقاء في اسبانيا على الهجرة ، وهم مايدعون بـ المدجنين (Mudéjares) ، وقد برزوا في البناء

والزخرفة والفلاحة : فليغن فلاح منكم ، ومن هذه العبارة اشتقت كلمة « فلامنكو » . وهذا غير مقبول لأنه اذا كان صحيحاً ، فلماذا لا يعرف الفلامنكو في بلدان شمال افريقية حيث هاجر الاندلسيون فاستوطنوا هناك ، وحيث التجأ «الموريسكيون» (Moriscos) بعد أن طردوا من اسبانيا ! — .

٥ — أنه من أصل " أندلسي " (Andaluz) ، وهو الرأي السائد الآن في اسبانيا . وأصحاب هذا الرأي يعللون التشابه بين أنواع الفلامنكو وأنماط الغناء العربي وبخاصة أغاني المغرب العربي بأن شعب « أندلثيا » متأثر تأثراً كبيرا بالعرب في جميع مظاهر حياته وحتى في عاداته وطبائعه ، فطبعي ، اذن ، أن يوجد مثل هذا التشابه .

١٢٤) «لاكانيا» = هي نوع من انواع الفلامنكو الجديدة .

125) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 4281

لعل الكلمة من فعل الأمر للمفرد المذكر : « غن » أو المؤنث : « غني »

١٢٦) في الأصل (Duende) ، وهذه الكلمة ، في الاسبانية ، تعني العفريت أو مايحرك مشاعر الانسان من قوى خفية . والطرب في العربية ، كما هومعروف ، يعني الفرح ؛ والحزن كذلك .

١٢٧) قد ثبت أن (olē) هي من العبارة العربية والله ، كما جاء في قاموس المجمع اللغوي .

128) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, p. 113

129) id. , p. 108

« وادي الرمل » المعروف باسمه العربي هذا يسيل في جنوب مدريد .

130) id. , ps. 40 - 41

131) id. , p. 58

132) id. , p. 53

« السيغيرية = يمكن ترجمتها باستطراد ، بمعنى سياق الكلام أو الغناء على وجه يلزم منه كلام الأخر أو غناؤه والا نتقال من ذاك إلى هذا . وهي من أروع أنواع الغناء العميق »

133) id. , p. 1823

يستعمل (لو ركا) كلمة قيثارة (مرتين في النثر — ١١ مرة في الشعر ١٥ مرة في المسرح)

134) Ribera, Ia Musica de las Cànticas, Madrid 1922, ps . 66 - 68

135) Al - Andalus, Vol - XXXVIII, Madrid - Granada 1972, Fasc. 1, ps. 133 - 143

136) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, ps. 658-659

1872 - 1870 .

انظر التوزيع الموسيقي في المصدر نفسه ص . ١٨٧٠ – ١٨٧٢ .

137) id. , p. 84

138) id. , p. 54

١٣٩) (خوان باليرا) = ولد في " قبرة " (Cabra) بالأندلس عام ١٢٤ وتوفي عام ١٩٠٥ .

140) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 15

141) id. , P. 52

١٤٢) « قصيدة النحيب » = لقد ترجمنا هذه القصيدة في كتابنا : مختارات من الشعر الاسباني المعاصر ، مذكور سابقاً ، ص . ١٠٤

143) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 1802

١٤٤) (بابلو نيرودا) مذكرات ، ص . ١٧٩ .

145) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 445

١٤٦) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تحقيق محمد بن محي الدين الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥١ ، الجزء الأول ص . ٣٩٥ وانظر ترجمتـــه في معجم البلدان ج . ١٢ ص . ١٠ ، وفي نفـــح الطيب ، طبعه محي الدين عبد الحميد ج . ١ ص . ٣٦٥ – ٣٧٦ .

١٤٧) الخيري = هكذا في الأصل (alheli) ، عن العربية . يستعملها (لوركا) (٣ مرات في الشعر – ٣ مرات في المسرح .) .

148) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 961

(١٤٩

١٥٠)ليس من الثابت المحقق أنالسيدةمريم العذراء هاجرت مع ابنها وزوجها إلى مصر.

151) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 319

152) id. , P. 645 .

153) id. , P 32 .

154) id. , P. 1684 .

155) id. , P. 1698 .

156) id, P . 1662

157) id. , P. 1724 .

158) id. , P. 1423 .

159) id. , P. 1699 .

160) id. , P. 28 .

161) id. , P. 111

162) id. , P. 1556 .

163) id. ,P. 1569 .

164) id. , P. 1568 .

165) id. , P. 860 .

166) id. , P. 1696 .

167) id. , P. 249 .

168) id. , P. 447 .

١٦٩) لعل كلمة جنين ، بمعنى بكاء الناقة وليدها الميت ، أصح هنا .

170) Federico Garcia Lorca, Obras Completas , P. 1721 .

١٧١) (بابلو نيرودا) مذكرات ، مذكور سابقاً ، ص ١٨١ – ١٨٢

172) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 1721 .

173) Garcia Lorca, Biografia ilustrada, P. 124 .

١٧٤) بابلو (نيرودا) مذكرات ، مذكور سابقاً ، ص ١٨٢ .

175) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 323 .

١٧٦) جبلي = هكذا في الأصل (Jabal i) ،عن العربية ، وهو الخنزير البري .

١٧٧) « بن بشير » = هكذا في الأصل (Benameji) ، عن العربيـــة ، قرية من قرى قرطبة .

١٧٨) « كورنتي » (Corinto) = نسبة إلى مدينة (Corinthe) ، في جنوب اليونان .

١٧٩) الزيتون = هكذا في الأصل (Aceituna)، عن العربية . يستعملها (لوركا) (مرة واحدة في النثر – ٧ مرات في الشعر –). ويستعمل كلمة الزيت (Aceite) (مرة واحدة في النثر – ٨ مرات في الشعر – ٥ مرات في المسرح .) وكنا قد تطرقنا إلى كلمة ياسمين من قبل .

180) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, ps 447 .

١٨١)فيالأصلزناتي (Jinete) نسبة إلى قبائل زناتة التي عرفت بمهارتها في الفروسية . وهذه الكلمة تعني ، في الاسبانية ، الفارس على الا طلا ق .يستعملها (لوركا) (مرة واحدة في النثر – ١٤ مرة في الشعر – مرة واحدة في المسرح .) . علما بأن كلمة فارس نفسها مستعملة في الا سبانية (Alférez) وهي رتبة عسكرية تعني الجندي المتقدم الذي يحمل راية الفصيلة أو السرية .

١٨٢) أن كلمة قمر ، في الا سبانية (luna) هي مؤنثة وكذلك كلمة موت (muerte) ولذلك نترجمها بكلمة المنية ، ويمكن ترجمة قمر في الاسبانية ، بكلمة هالة حتى يتم لنا التأنيث . والتأنيث له د لا لته عند (لوركا) .

١٨٣) زيتون في خرجي = هكذا في الأصل (Aceitunas en mi alfoja) عن العربية مع تغيير في نطق الحروف . ولا يستعمل (لوركا) كلمة خرج ، بأداة التعريف ، ألا في هذا الموضع .

184) Federico Garcia Lorca, Obras Completas, P. 380 .

* * *